الإمام الحسين عليه السلام
وحركة الأنبياء الإصلاحية

دراسة مقارنة بين الحركة الاصلاحية لدى
الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء أولي العزم

تأليف

سماحة السيد صدر الدين القبانجي دام عزه

تقديم وتحقيق

مؤسسة إحياء التراث الشيعي

رقم الإصدار: ٨

دراسات في الحركة الإصلاحية للإمام الحسين X

١

مؤسسة إحياء التراث الشيعي
www.turathshiai.com
E-mail:info@turathshiai.com
النجف الأشرف
شارع الرسول 9، محلة الحويش، الزقاق: ٥٤، الدار: ٢

الإمام الحسين (ع) وحركة الأنبياء الإصلاحية

السيد صدر الدين القبانچي

رقم الإصدار: ٨
الطبعة الأولى: جمادى الأولى ١٤٢٨هـ
العدد: ٣٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

ما أحوجنا أن نستجلي الحقائق التاريخية ونسبر أعماق التاريخ..! وما أحوجنا أن نجد العلاقة بين غابر الماضي السحيق وغابر المستقبل بكل معالمه الشاخصة لدينا من خلال معادلات التاريخ..! الإمام الحسين (ع) بشخصه أوّلاً، وبحركته ثانياً، لا يمثل محطةً تاريخيةً عابرة.. بل هو حركة لها جذورها البعيدة في ماض سحيق مرتبطة بحركة الاصلاح والتكامل المتمثلة في حركة الأنبياء والمرسلين.

الإمام الحسين (ع) لا يمثل واقعة تاريخية واحدة، بل هو قضية الأنبياء بتكاملها ونَضجها ورشدها الحقيقي.. فإذن ثورة الحسين (ع) خلاصة الجهد النبوي لنوح، لإبراهيم، لموسى،

لعيسى، لمحمّد صلوات الله عليه وآله والأنبياء والمرسلين.

هذه المعادلات النبوية توضحها محاضرات العلامة السيد صدر الدين القبانچي التي ألقيت في محرم الحرام من عام (١٤٢٧ هـ) في النجف الأشرف حيث يتطرق إلى العلاقة بين حركة الإمام الحسين (ع) وبين حركة الأنبياء والمرسلين (ع). فهي علاقة ترابطية تكاملية، وليس علاقة تشابهية تجمعها المواقف المتشابهة فحسب، بل هي حلقات تربط بعضها بعضاً لتشكل سلسلة التكامل الصاعدة.

وهنا تتكفل هذه الوقفات ببيان النمط الترابطي بين الماضي السحيق والحاضر المعاش والمستقبل المنظور بأسلوب رائق جميل.

ومؤسسة إحياء التراث الشيعي إذ تثمن هذا الجهد المبارك، تأخذ على عاتقها نشر هذه المحاضرات ضمن سلسلة دراسات في الحركة الاصلاحية للإمام

الحسين (ع)، سائلين المولى أن يوفق الجميع من أجل إحياء معالم تاريخنا الزاهر، وتراثنا التليد، إنه ولي التوفيق.

مدير المؤسسة
السيد محمّد
القبانچي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

حركةُ الحسين (ع) هي امتداد لحركة الأنبياء (ع)، وهي وإن اختلفت عنها ربّما في شكل الأحداث والوقائع، لكنها لا تختلف عنها في الأهداف وأصول المناهج.

وقد عملنا في هذه المحاضرات التي قدّمناها للمستمعين في النجف الأشرف خلال ليالي محرم الحرام من عام (١٤٢٧) للهجرة على أن نقدّم دراسة مقارنة تبدأ من نوح (ع) أبي الأنبياء وإلى الحسين (ع) سيد الشهداء مروراً بإبراهيم وموسى وعيسى ثمّ نبينا (ص).

وستكون هذه الدراسة هي القسم الأوّل من موسوعة تحت عنوان (دراسات في الحركة الإصلاحية للإمام الحسين (ع)).

بينما سيكون القسم الثاني مختصاً بالمقارنة المنهجيّة بدءً من عليّ (ع)

سيد الأوصياء، إلى الحسين (ع) شهيد كربلاء.

فيما نأمل أن نوفق في القسم الثالث لتقديم دراسة مقارنة بين حركة الأئمّة الأطهار (ع) وحركة الحسين (ع) أبي الأحرار.

أما القسم الرابع فهو محاضرات قدمناها في ليالي محرم الحرام لعام ١٤٢٦، للمقارنة بين حركة الإمام الحسين (ع) وحركة الإمام المهدي المنتظر (ع).

نسأل الله أن يوفقنا لانجاز هذه الدراسة الموسوعيّة بلطفه وإحسانه.

السيد صدر الدين
القبانجي
٢٣/ شعبان/
١٤٢٧هـ

(١ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الأولى:

معالم الحركة الإصلاحيّة لدى نوح (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسين *(ع)* والأنبياء *(ع)*:

الإمام الحسين (ع) عند خروجه من مكّة المكرمة قال:

«الحمد لله وما شاء الله، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله، وصلى الله على رسوله وآله وسلم، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربةً سُغباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين». [1]

الإمام الحسين (ع) يربط حركته

---

(١) عوالم الإمام الحسين X: ٢١٦؛ البحار ٤٤: ٣٦٧؛ مثير الأحزان لابن نما: ٢٩.

بحركة الأنبياء (ع).

في أوّل خطبةٍ خطبها عند خروجه من مكّة المكرمة، في اليوم الثامن من ذي الحجة، عندما دخل عمرو بن سعيد الوالي الأموي بجنودٍ لقتل الحسين (ع) ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة.

يقول في أوّل خطاب له وقبل أن يغادر مكّة المكرمة: «وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف» حيث ينقلنا الحسين (ع) إلى عمق التاريخ، إلى حركة يوسف ويعقوب H ويربط حركته بتلك الحركة.

وحديثنا في هذه الليالي باتجاه معرفة فلسفة هذا الترابط بين حركة الحسين وحركة الأنبياء (ع) وتحت عنوان (الحركة الإصلاحية من نوح (ع) أبي الأنبياء إلى الحسين (ع) سيد الشهداء).

مرة أخرى عندما أراد الحسين (ع) الخروج من المدينة و عرض عليه عبد الله بن عمر البقاء في المدينة المنورة أو مبايعة الحاكم الأموي.

الحسين (ع) قال له: «يا عبد الله إن من هوان الدنيا على الله، أن رأس يحيى بن زكريا يُهدى إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل، وأن رأسي يُهدى إلى بغيّ من بغايا بني أمية».[١]

أيضاً هذا ربط وانتقال إلى يحيى بن زكريا H، أي إن الحسين (ع) يقول بأن حركته هي حلقة واحدة من سلسلة متصلة هي سلسلة الأنبياء (ع)، ويجري عليه ما يجري عليهم.

وفي موضع ثالث الحسين (ع) يقول: «لن تشذّ عن رسول الله لُحمته وهي مجموعة له عند حضيرة القدس»[٢] حيث يربط حركته وموقفه وشخصيته برسول الله (ص).

حديثنا عن اكتشاف هذا الترابط، بين حركة الحسين وحركة الأنبياء (ع)، من خلال عرض تاريخي فلسفي لحركة الأنبياء (ع) ثمّ ربطها بحركة الحسين (ع).

---

(١) مثير الأحزان: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧؛ نواعج الأشجان: ٧٠.

ونحن نجد أن الأئمّة (ع) أكدوا هذا الربط حينما نقرأ:

«السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمّد حبيب الله»[١]

هذا معناه أن الحسين (ع) هو حلقة في هذه السلسلة وليس عملاً مفصولاً عن حركة الأنبياء (ع).

حديثنا الليلة في مقطع من مقاطع مسيرة نوح (ع) الاصلاحية ثمّ اكتشاف أسس الحركة الاصلاحية عند الأنبياء (ع) وما إذا كانت هذه الأسس موجودة في حركة الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

الحركة الاصلاحية:

الفهم الديني يقول: إن الحركة الاصلاحية ضرورة في المجتمع البشري،

(١) المزار: ٢٣٠؛ كامل الزيارات: ٣٧٥.

ولا يمكن للمجتمع البشري أن يتكامل بدون حركاتٍ اصلاحية، هذا الأمر في غاية الأهمية.

لماذا المجتمع الإنساني يحتاج إلى حركة اصلاحية؟ ولماذا تكون على يد الأنبياء (ع)؟

لاحظوا هناك حركة تكاملية في الكون، كما إن هناك حركة تكاملية في الإنسان، لكن الحركة التكاملية في الكون هي حركة ذاتية قهرية وأمّا الحركة التكاملية في الإنسان فهي حركة إرادية اختيارية [فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ]،[1] أي اننا نفهم أن هذا الكون يتكامل ولا يتراجع سواءٌ الطبيعة أم الكائنات الحية، أو المجرات السماوية، هناك حركة تكامل في كل الوجود وهي حركة ذاتية.

فمثلاً النباتات تتكامل طبيعياً بحركة ذاتية فتمد جذورها إلى الأرض

(١) الكهف: ٢٩.

لتبحث عن الماء، وترفع أوراقها إلى السماء لتكتسب أشعة الشمس _ هذه مصادر الطاقة _ هذا النبات يتحرك ذاتياً لاكتساب مصادر الطاقة لكي يستطيع أن ينمو ويتكامل.

العلم الحديث يكتشف نجوماً في حالات النشوء، أي أنها ما تزال في حالة جنينية، وهي الآن عبارة عن قطع غبارية تحاول أن تتكامل وتتحول إلى نجم أو نجوم.

الله تبارك وتعالى أيضاً يؤكد أن هذا الوجود في تكامل وفي حركة طبيعية، لاحظوا دورة الطبيعة _ شتاء، ربيع، صيف، خريف _ هي دورة تكاملية ذاتية.

هذا التحرك الذاتي والتكاملي في الطبيعة ربما نراه في إشاراتٍ قرآنية مثل قوله: [الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدانِ * وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ][1] أي أن هناك نسقاً متكاملاً ومسيراً ذاتياً [الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ

(١) الرحمن: ٥ - ٧.

لَها]،[١] الطبيعة كلها هكذا، فحركة الطيور ذاتية في هجرتها وذلك طلباً للطقس المناسب، والأسماك كذلك فملايين منها تقطع آلاف الكيلومترات بحثاً عن الماء الدافيء، لكي تضع بيوضها ثمّ تعود [الَّذِي أَعْطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثمّ هَدى][٢] باعتقادنا القرآني أن الكون كله يمشي بحركةٍ تكاملية وليس بحركةٍ تراجعية، البحث في هذا ودلائله العلمية واسع جداً.

أمّا الإنسان هذا الكائن الحي العاقل الذي جعله الله تعالى خليفةً في الأرض، هذا الإنسان أيضاً يجب أن يشهد حياة تكاملية [إِنَّكَ كادِحٌ إلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ][٣] يجب أن يعيش تكاملاً، لكن هذا الإنسان بما أن الله تعالى أعطاه قدرات متميزة عن سائر الكائنات، ومن جملة تلك القدرات المتميزة العقل، ومن جملتها الإرادة، هنا أصبحت حركة التكامل أو

(١) يس: ٣٨.
(٢) طه: ٥٠.
(٣) الإنشقاق: ٦.

الحركة الاصلاحية عند الإنسان ليست حركة ذاتية قهرية وإنما هي حركة إرادية يستطيع أن يتقدم فيها ويستطيع أن يتخلف عنها.

الإنسان طبيعياً يندفع لمعالجة الآلام، ودفع الأمراض، وكذلك بحركةٍ ذاتية يفر من الفقر والذل والبؤس ولا يحتاج بذلك إلى واعظٍ ومرشدٍ يرشده. فكل الناس يتجهون ذاتياً نحو السعادة والسرور والغنى والعافية، لكن في الجانب المعنوي، في قيم الإنسان ومعتقداته فإن الحركة التكاملية ليست ذاتية بل هي تحتاج إلى إسناد ودعم ووحي سماوي وتسديد إلهي.

لاحظوا إن هذا الأمر قد نشهد معالمه في القرآن الكريم حينما يقول: [الرَّحْمنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسانَ * عَلَّمَهُ الْبَيانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ][1] هناك حينما يطرح الشمس والقمر والنجم والشجر يتحدّث عن حركة ذاتية لكن حينما يتحدّث عن الإنسان يقول بأن عنده بيان وعلم وإرادة واختيار، هذا الأمر لعله هو الذي

(١) الرحمن: ١ - ٦.

يفسر لنا _ كما يقول المفسرون _ من أين عرف الملائكة طبيعة الإنسان حينما أراد الله تعالى أن يستخلف الإنسان في الأرض. قال: [إِنّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً][١] فالملائكة فوراً اعترضوا وقالوا: [أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ][٢] من أين عرفوا؟ لماذا لم يقولوا هذا الكلام عن سائر المخلوقات الطبيعية؟ عرفوا ذلك من هذا التحليل أن هذا الإنسان يملك عقلاً وإرادة وليس مجبوراً ومقهوراً على التكامل، وإنما بامكانه أن يتكامل [فَمَنِ اهْتَدى فَلِنَفْسِهِ][٣] وبامكانه أن يتسافل [وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها][٤] فإذا كان كذلك إذن هو سيُفسد في الأرض، لأنه غير مجبور على الصلاح والاصلاح، حينئذٍ الله تبارك وتعالى أوحى لهم ودلّهم على أن هذا الإنسان الذي سوف أجعل له خليفة وأمنحه عقلاً وإرادة، سوف أمنحه إسناداً سماوياً إلهياً [وَعَلَّمَ آدَمَ

(١) البقرة: ٣٠.
(٢) السابق.
(٣) الزمر: ٤١.
(٤) السابق.

الأَسْماءَ كُلَّها][1] وهذا أوّل إسناد إلهي، والبحث واسع في معنى ما هي الأسماء.

الفكرة التي نريد أن نصل إليها هي أن الحركة التكاملية في الطبيعة هي حركة ذاتية فكل الطبيعة تتكامل من الأرض إلى النجوم لكن الحركة التكاملية في الإنسان ليست حركة ذاتية وإنما هي حركة إرادية واختيارية. إذن احتاجت إلى دعم إلهي وسماوي لأن العقل وحده والإرادة وحدها تخضع لضغوط مادية وتنهار أمام الضغوط المادية.

أحد تلك الضغوط المادية التي يصورها القرآن هي الشيطان، قال: [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ][2] أي إن عقدة الإنسان انه سيصطدم بمعوقات في الحركة الاصلاحية، وهو يحتاج إلى منقذ وهذا المنقذ هم الأنبياء (ع).

الحاجة إلى الأنبياء (ع):

هنا وصلنا إلى نظرية أن الأنبياء (ع) ضرورة، الحركة الاصلاحية على يد

---

(١) البقرة: ٣١.
(٢) الأعراف: ١٦.

الأنبياء (ع). ضرورة ولا يمكن للبشر أن يصلوا إلى التكامل بدون الأنبياء (ع) ولهذا تكفل الله تعالى بهذا الجانب، وهنا جاءت نظرية أن بعث الأنبياء (ع) لطف ضروري من الله تعالى.

القرآن يقول: [وَما كُنّا مُعَذّبِينَ حتّى نَبْعَثَ رَسُولاً]، (١) [وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حتّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً] (٢) الله تعالى يقول: أنا لا أسخط على هؤلاء الناس لأنهم غير قادرين على التكامل بدون إسناد إلهي، هذا فقط في الإنسان بخلاف سائر الوجودات الكونيّة.

ويشبه الإنسان في هذه الخاصية وهي الحاجة إلى الأنبياء (ع) في طريق التكامل مخلوق آخر مثله عنده عقل وإرادة وهو الجن، ولهذا في نظرية الأديان إن الأنبياء (ع) مبعوثون للإنس والجن، مما يعني أن هناك مجتمعاً آخر اسمه مجتمع الجن أيضاً يحتاج إلى حركة

(١) الإسراء: ١٥.
(٢) القصص: ٥٩.

نبوية اصلاحية، إلاّ انها يبدو تابعة لحركة البشر والنبي الذي يُبعث إلى البشر هو نفسه يُبعث للجن كما نقرأ في سورة الجن: [فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ][1] نفس القرآن الذي هو لنا، الجن أيضاً استمعوا إليه وقالوا إن من يؤمن به يهتدي رشداً، وهذا البحث نؤجله فعلاً، ونكتفي بالتأكيد على فكرة أن حركة الأنبياء (ع) حركة إصلاحية وهي ضرورة لا يمكن للبشر أن يتكاملوا بدونها.

حركة نوح (ع) الإصلاحيّة:

أوّل أولئك الأنبياء المصلحين هو نوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، وهو أوّل الرسل أولي العزم وأنه صاحب رسالة إصلاحية.

هناك تسعة آباء بين نوح وآدم H، أي أن آدم (ع) هو الأب التاسع لنوح (ع)، الفاصلة بين ممات آدم وولادة نوح H هي (٧١٢) سنة، فنوح كما يقول

(١) الجن: ١ و٢.

المفسرون أنه أوّل الأنبياء الرسل _ أي لديه رسالة و شريعة وكتاب ودستور وقانون _ والقرآن الكريم يسجل هذه القضية أن هناك خمسة أنبياء هم أولوا العزم أي أصحاب الرسالات وهم (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى (ع)، ونبينا محمّد (ص)).

نوح (ع) تاريخياً يبدو أنه كان في بدايات تكوّن المجتمع الإنساني، فقبل نوح (ع) كان هناك مجتمع لكنه مجتمع لم يبلغ إلى حد التعقيد الاجتماعي الذي يشهد تنافسات و صراعات، نوح (ع) شهد مجتمعاً معقداً فيه تنافسات برزت فيه.

ظاهرتان في مجتمع نوح:

لأوّل مرة برزت ظاهرتان و هي ظاهرة الوثنية، وظاهرة الاستعباد، الوثنية تعني عبادة الأوثان. والاستعباد يعني طبقات مختلفة فالطبقة الغنية تستعبد الطبقة الفقيرة. ولهذا نجد أن نوحاً

لم يقاوم ملكاً من الملوك مثل موسى (ع) الذي قاوم فرعون، لاحظوا القرآن الكريم يتحدث عن نوح (ع) وقومه ولا يتحدث عن نوح وملك زمانه، ويبدو أنه لا توجد دولة، تاريخياً نستطيع أن نقول إن نوح (ع) عاش مرحلة المجتمع بدون دولة و بدون ملك و حاكم، مجتمع عبارة عن طبقات أو عشائر أو شرائح متعددة عاش معهم نوح، و برزت في هذه الحالة الاجتماعية ظاهرة الوثنية وظاهرة الاستعباد والطبقية، هذا ما نقرؤه في التصريحات الدينية والسياسية لنوح (ع).

حينما نقرأ تصريحات هذا الإنسان العظيم نجد أنه يعالج ظاهرتين هما ظاهرة الشرك بالله وظاهرة الطبقية.

لاحظوا مثلاً أن القرآن الكريم يتحدّث عن نوح (ع) ويقول: [وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً * وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً][1] هذه أسماء أصنام، [فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ

(١) نوح: ٢٣.

إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأْيِ وَما نَرى لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبِينَ](١) نوحٍ (ع) بدأ يعالج قومه قال: [وَما أَنَا بِطارِدِ الذِينَ آمَنُوا](٢) أي إن هذه الطبقة التي أنتم تستحقروها فأنا لا أؤيدكم باستحقارها، ولا أقول إن الله تعالى سوف لن يوفق هؤلاء لأنهم ضعفاء وفقراء، فربما يكون الخير كله على يد هذه الطبقة الفقيرة.

منهج الحوار:

نوح (ع) في آليات حركته هو أوّل من استخدم وشق طريق الحوار العقلي أو الجدل والحوار الحر، لاحظوا حركة نوح (ع) مع قومه الذي لبث فيهم ألف سنةٍ إلاّ خمسين عاماً، القرآن لا يتحدّث عن حرب ومعركة، ولكن يتحدّث عن جدل عنيف وحوار بين نوح (ع) وقومه حتّى يئس منهم. هذه آلية الحوار أي آلية الاصلاح السلمي، يعني أن نوحاً في

(١) هود: ٢٧.
(٢) هود: ٢٩.

رسالته الإصلاحية اعتمد آلية الاصلاح السلمي.

يقول نوح (ع) بعد ألف سنة إلاّ خمسين عاماً: [رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَاراً * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً][1] لقد أصبح نوح (ع) يتحدّث عن الازمة ويقول على لسان قومه: [قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ][2] أي انك تؤمن بالله ونحن لا نؤمن بالله، وتؤمن بالمساواة الاجتماعية ونحن نؤمن بالطبقية، إذا كنت صادقاً فادعُ ربك أن ينزل علينا عذاباً من السماء، نحن لا نخضع للأدوات العلمية والمنطقية، [قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ][3] أي أن نوحاً (ع) وصل إلى الطريق المغلق معهم وقد أكدَّ الله سبحانه وتعالى له

(١) نوح: ٥ - ٧.
(٢) هود: ٣٢.
(٣) هود: ٣٣ و٣٤.

فقال: [أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ][١] حينئذٍ قال نوح (ع): [رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً][٢] هنا لاحظوا أن نوحاً (ع) لم يخض حرباً مسلحة وإنما التجأ إلى العقاب الإلهي وإلى قوة ما وراء الطبيعة، لأن هؤلاء يقفون حجر عثرة في طريق التكامل البشري وهذا الجيل الذي عاشه نوح (ع) يجب أن ينتهي لأن حركة التكامل البشري لا يمكن أن تستمر مع وجود هذا الجيل، وكما جاء في القرآن على لسان نوح (ع): [إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ] يعني لا توجد حركة تكامل وسوف يكونون سداً منيعاً أمام تكامل الإنسان الذي خلقه الله تعالى خليفة، هذه المجموعة المصابة بعقم الهداية، هؤلاء يجب أن ينتهوا وتفتح الصفحة لجيلٍ بشري جديد والذي أخذ أصوله نوح (ع) في سفينته، ولهذا

(١) هود: ٣٦.
(٢) نوح: ٢٦ و٢٧.

يقول القرآن: [وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ][١] فالبركة ظهرت فيما بعد، أي في الأجيال الآتية التي جاءت بعد نوح (ع).

أوّل من فتح باب التشريع:

نوح (ع) كان من الصالحين. وله الفضل على جميع البشرية، وإن جميع الشرائع التوحيدية هي تابعة إلى نوح (ع)، فأوّل من شرَّع الشريعة الإلهية هو نوح، بعده إبراهيم وموسى وعيسى (ع) ونبينا (ص) ولهذا القرآن الكريم يتحدّث عن هذا الأمر قائلاً: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ][٢] البداية كانت من نوح ثمّ إلى إبراهيم وموسى وعيسى (ع) وهم الأنبياء أولوا العزم.

المفسرون _ وبالخصوص _ العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان له إلتفاتة رائعة يقول: لاحظوا قوله

(١) الصافات: ١٠٨.
(٢) النساء: ١٣٦.

تعالى: [سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ][١] أي تحية وسلام على نوح (ع) في كل الخط العالمي البشري _ في العالَمين _ فله فضل عليهم، هذا النمط من السلام لم يأت لنبي من الأنبياء، يوجد سلام آخر مثل [وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ][٢] و[سَلامٌ عَلى إِلْياسِينَ * إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ][٣] ولكن ليس في العالمين، هذا تخصيص لنوح على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاة والسلام.[٤]

أدب البسملة:

نوح (ع) أوّل من بدأ بشعار بسم الله الرحمن الرحيم أو بسم الله، نحن الآن في عُرفنا الديني نبدأ كل عمل بـ (بسم الله). وأوّل من بدأ هذه السُنّة هو نوح (ع) وذلك كما يشير إليه القرآن الكريم حيث قال: [وَقالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها

(١) الصافات: ٧٩.
(٢) مريم: ٣٣.
(٣) الصافات: ١٣٠ و١٣١.
(٤) أنظر: الميزان في تفسير القرآن ٥: ٣٢.

وَمُرْساها] .[١]

سفينة نوح:

وبهذه المناسبة أذكر لكم أن نوحاً (ع) لما قال: [ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَمُرْساها] وأخذ من كلّ زوجين اثنين، وجماعته المؤمنين وهم قلة طبعاً، وتخلف عنه ابنه وقال: [سَآوِي إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْماءِ قالَ لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ][٢] التاريخ يقول كما في رواية التوراة إن السفينة بقيت أربعين يوماً على سطح الماء. وبعد هذه المدة أرسل نوح (ع) غراباً ليعرف هل هناك أرض يابسة أم لا، الغراب تلكأ ولم يتقدَّم كثيراً، فاستبدله نوح بحمامة ورجعت هذه الحمامة ولم تأو إلى أرض يابسة، وبعد أسبوع أرسل حمامة أخرى فذهبت بعيداً وجاءت بورقة زيتون (وهذه هي فلسفة شعار ورقة الزيتون كشعار للسلام) فعرف نوح من ذلك أنه بدأ الجفاف وأن المياه بدأت تجف حيث ظهرت الأشجار، ثمّ بعد أسبوع أرسل حمامة أخرى

(١) هود: ٤١.
(٢) هود: ٤٣.

فلم تعد إليه لأنها وجدت أرضاً وأشجاراً وبقيت هناك، ثمّ نزل نوح (ع) و بدأت المسيرة الجديدة، هذا حسب رواية التوراة.[١]

الجدل العقلي والحوار العلمي الحر أوّل من فتحه هو نوح (ع). أنظروا ماذا يقول: [أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَباتاً * ثمّ يُعِيدُكُمْ فِيها وَيُخْرِجُكُمْ إِخْراجاً]. [٢] جدل وحوار علمي ومنطقي، واستخدام العقل إلى جانب الشرائع الإلهية، هذه هي الآليات التي استخدمها نوح (ع) في مواجهة الشرك العقيدي، ومواجهة الظلم الطبقي. [يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]، [٣] الأديان جوهر دعوتها هو الابتعاد عن الظلم، وهذه هي خلاصة دعوة الأنبياء (ع) لانقاذ الإنسان والبشرية من الظلم ومن الشرك.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس: ٢١٩ (سفر التكوين/ مزمور ٥٥: ٦ - ٨).
(٢) نوح: ١٥ - ١٨.
(٣) لقمان: ١٣.

نوح والحسين H:

ننتقل إلى الإمام الحسين (ع).

الإمام الحسين (ع) يضع نفسه موضع الوارث لحركة الأنبياء (ع) بدءاً من آدم (ع) كنبي ثمّ إلى نوح (ع) كأوّل الرسل أولي العزم وأصحاب الشرائع.

لننظر للحسين (ع) ماذا عمل؟ وما هي آليات وأدوات (وما يصطلح عليه اليوم بأجندة) الإمام الحسين (ع) في الحركة الاصلاحية.

كان الإمام الحسين (ع) يهدف إلى حركة إصلاحية حين قال: «إنما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي، خرجت لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»[١] هذه الحركة الاصلاحية يجدها الإمام الحسين (ع) ضرورة، ولا بدّ لمثل الحسين (ع) أن يقود راية الحركة الاصلاحية ولا يمكن للأمّة أن تتكامل بدون حركة إصلاحية مدعومة إلهياً.

مشكلات الأمّة:

---

(١) بحار الأنوار عن الإرشاد للمفيد: ٣٢٩؛ لواعج الأشجان: ٣٠.

الإمام الحسين (ع) واجه في حركته الاصلاحية مشكلتين عند الأمّة:

المشكلة الأولى: هي مشكلة فقد القدرة على التمييز.

والمشكلة الثانية: هي فقد إرادة التغيير.

أمّة غير قادرة على أن تميز ما هو الحق وما هو الباطل، أو ما ينفعها وما يضرها. هذا أخطر الأمراض. إن أمّة من الأمم تكون غير قادرة على التمييز لهي مثل الطفل الذي لا يميز بين الماء والنفط فمن الطبيعي أن يحتاج إلى أم وأب ليرشدوه وإلاّ فإنه سوف يشرب النفط ويهلك.

الأمّة بعد رسول الله (ص) أصيبت بحركة تحريف وكانت تحتاج إلى حركة تصحيح، الخط النفاقي قاد حركة التحريف والخط العلوي قاد حركة التصحيح، الأمّة بعد حركة التحريف أُبتليت بمرضين، المرض الأوّل هو فقد

القدرة على التمييز والمرض الثاني هو فقد إرادة التغيير.

فقد القدرة على التمييز:

معاوية أرسل رسولاً إلى الإمام عليّ (ع) يقول له: اني أقاتلك بمجموعة لا يميزون بين الناقة والجمل،[١] أي ليس لديهم قدرة تمييز، وهم كالعميان والعبيد. ولهذا حينما قُتل عمّار بن ياسر وكان رسول الله (ص) قد قال: «عمّار تقتله الفئة الباغية»[٢] حدث شيء من القلق في جيش الشام وعرفوا بأنهم هم الفئة الباغية، لاحظوا العمى الذي أصاب الناس حينها، حيث تحركت عليهم فضائيات إعلامية يومئذٍ وقالوا: أنتم لم تقتلوه بل قتله ذاك الذي أرسله، ان الذي قتل عمّار هو عليّ (ع) وليس معاوية. وهكذا انطلت عليهم الشبهة واقتنعوا بأنهم ليسوا من قتل عمّار

---

(١) الغدير ١٠: ١٩٦.

(٢) مناقب أمير المؤمنين X ٢: ٣٥٠؛ صحيح البخاري ٣: ٢٠٧ ؛ كنز العمال ١١: ٧٢٢.

بن ياسر، وأن عليّاً (ع) هو الذي قتله،[١] بأدنى حركة اعلامية تضليلية انتهت قدرتهم على التمييز، هذا معنى فقد القدرة على التمييز.

الشعب إذا فقد القدرة على التمييز ينتهي، وانتهت حضارات و شعوب لأنها لا تملك قدرة على التمييز بين الحق والباطل.

كانوا يقولون للإمام عليّ (ع): يا أبا الحسن ما الدليل على انك على حق؟ أنت صهر رسول الله (ص) وعائشة أيضاً زوجة رسول الله (ص) فليس معلوماً أن تكون أنت الأفضل، إذا كانت المقاييس هي الانتساب إلى رسول الله (ص) فكلاكما أنت وعائشة سواء في هذه النسبة، لاحِظوا ليس لديهم قدرة على التمييز وليس لديهم أدوات يميزون بها.

الإمام (ع) أشار لهم إلى ضرورة استخدام أدوات صحيحة حقيقية فقال: «إعرف الحق تعرف أهله»[٢] يعني إن

(١) البحار ٣٣: ٧.

(٢) روضة الواعظين: ٣١؛ أنساب الأشراف: ٢٧٤؛

القضية أوّلاً أن تعرفوا الحق، حينئذٍ يكون لديكم بصيرة وعين ومجهر لكي تذظروا به الحق وتعرفوا من هو تابع الحق ومن هو المنحرف عن الحق.

الأمّة في زمن الحسين (ع) كتسلسل وتراكم أصيبت بفقد القدرة على التميز وهذا حديث واسع جداً ومحرم الحرام يجب أن يمتلىء بهذه الأحاديث ذات البعد والوعي التاريخي والسياسي، لأننا نعيش حاجة مستمرة إلى القدرة على التميز. وأحد نقاط القوة لدى الشيعة هو امتلاك القدرة على التمييز.

ذلك الذي يحمل رأس الحسين (ع) إلى الشام قال ليزيد بن معاوية:

إملأ ركابي فضةً أو انني قتلت السيد
قتلت خير الناس أماً وأبا[1]

فقال له: إذا كنت تعرف أن هذا السيد المحجَّب هو خير الناس أماً وأباً فلماذا قتلته؟

بحار الأنوار ٤٠: ١٢٦ عن الطرائف.
(١) مقاتل الطالبيين: ٨٠.

فقد إرادة التغيير:

وهي المشكلة الثانية التي واجهها الإمام الحسين (ع) في تلك الأمّة، أي أن هؤلاء حتّى وإن امتلكوا شيئاً من القدرة على التمييز فليس لديهم إرادة التغيير. لديهم خوف وانهيار وهو ما يسمى اليوم بالاحباط والهزيمة النفسية أنه لا أمل في النصر، ابن سعد قائد قوات مسلحة مكونة من ثلاثين ألف مقاتل، بامكانه أن يغيّر المسير كله، لكنه يفقد الإرادة رغم أنه لم يؤمن بشرعية الحرب ضد الحسين (ع).

ومن الأدوات التي استخدمها الإمام الحسين (ع) في المعركة كما استخدمها نوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام هي الحوار والجدل العلمي.

والإمام الحسين (ع) في كل موضع كان يستطيع أن يحاور، دخل في حوار. وفي كل موضع كان يستطيع أن يحرّك الفطرة، ذهب ليحرك الفطرة. إلاّ إذا اصطدم بفطرة

عمياء ميّتة مثل ما هو موجود في ابن سعد.

الإمام الحسين (ع) أرسل إلى ابن سعد ليتكلم معه فخرج ابن سعد ومعه عشرون شخصاً ومعه ابنه وغلامه، والحسين (ع) أيضاً معه عشرون شخصاً ومعه عليّ الأكبر والعبّاس H والتقوا في منطقة وسطية وانسحب من معهما وبقي الحسين (ع) وبقي ابن سعد.

قال له الحسين (ع): «ألا تترك هؤلاء وتلحق بي فهذه فرصة وأنت تعرفني من أنا»، لاحظوا ابن سعد ما كان جوابه، ما كان يقول للإمام (ع) بأن حركتك باطلة، أو أنت على خطأ، وان لدي أدلة علمية، بل قال: أخاف أن تُهدم داري! يعني هو مستعد أن يقتل الحسين ابن رسول الله (ص) وهو يعلم بأنه يرتكب أكبر جناية في التاريخ لمجرد أنه يخاف أن يهدم بن زياد داره.

قال له الحسين (ع): «أنا أبنيها لك».

قال: أخاف أن يأخذ ضَيعتي.

قال له الإمام (ع): «أنا أعطيك مما عندي في المدينة».

لاحِظوا أن الحسين (ع) يدخل معه في حوار، لكن حوار مع ضمير ميّت بدون جدوى، فيأسَ منه. وهنا دعا الإمام الحسين (ع) عليه قائلاً: «لا أكلت من بُر العراق كثيراً».

قال ابن سعد: إن في الشعير كفاية.[1]

هذا مستوى قائد قوات قد فقد الإرادة على التغيير.

كان امتياز أصحاب الحسين (ع) ومنهم الحر الرياحي هو امتلاك التمييز والإرداة على التغيير.

الحركة التصحيحيّة:

الإمام الحسين (ع) في حركته الاصلاحية كان يهدف إلى اعادة القدرة على التمييز واعادة روح الإرادة عند

(١) مدينة المعاجز ٣: ٤٨٢.

الأمّة.

حركة التحريف تحتاج إلى حركة تصحيح تقابلها.

محاور حركة التصحيح:

الإمام الحسين (ع) قاد حركة التصحيح في محورين هما: محور الأمّة، ومحور الإمامة. الأمّة تحتاج إلى تصحيح والحكومة هي أيضاً تحتاج إلى تصحيح.

الإمام الحسين (ع) كان يمشي ويشع بنور التصحيح على مستوى الأمّة والإمامة، مرةً يقول: «لعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط»، هذه هي شروط الإمام الحاكم، أيها الاخوة. أيها المسلمون، الإمام له شروط وهذه هي شروطه، «ويزيد شارب الخمور وقاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله»،[1] هذه حركة تصحيح في موقع الإمامة.

من ناحية ثانية الإمام الحسين

(١) أنظر: البحار ٤٤: ٣٢٥.

(ع) يشع أنواراً من خلال تصريحاته وخطبه ورسائله، لكي يستنهض الأمّة ويحركها ويعطيها إرادة حينما يقول: «ألا وان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين».[١]

الخطاب السياسي للإمام الحسين (ع):

في يوم عاشوراء كان الإمام الحسين (ع) قد خطب ثلاث خطب.

لماذا يخطب؟ تلك هي آليات حركة الإمام الحسين (ع) الاصلاحية كما هي الحركة الاصلاحية لدى كل الأنبياء (ع)، أوّل آلية من آليات الحركة الاصلاحية هي استخدام التوعية والموعظة. ولهذا فإن فقهاءنا يقولون في باب الجهاد: يجب قبل القتال الموعظة أوّلاً والدعوة إلى دين الله، ثمّ يأتي القتال بعد اليأس من نجاح الدعوة، فالقتال هو حالة متأخرة وليس حالة متقدمة.

الإمام الحسين (ع) في يوم عاشوراء

---

(١) صحيفة الحسين X: ٢٩٦.

خطب القوم ثلاث مرات، قال في بعضها: «انسبوني من أنا ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم فعاتبوها أليس محمّد رسول الله جدي، أليس عليّ الوصي أبي، أليس قال رسول الله فيَّ وفي أخي الحسن: هذان سيدا شباب أهل الجنّة فإن كذبتموني فإن فيكم من إذا سألتموه أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري وسلوا أنس بن مالك وسلوا أبا سعيد الخدري فانهم سيخبرونكم بأنهم سمعوا ذلك من رسول الله».

ثمّ قال لهم: «فإن كذبتموني أفتشكون أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ليس بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي فيكم ولا في غيركم سواي أبقتيلٍ قتلته فيكم تطلبوني أم بمال استهلكته فيكم؟» فاصبحوا لا جواب لهم.[1]

التاسع من محرم الحرام:

يقول المؤرخون لما كان التاسع من المحرم الحرام أمر ابن سعد الخيول

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣؛ لواعج الأشجان: ١٢٧.

بالزحف على خيام الحسين (ع) فزحفت الخيل وقاربت المخيم، فقالت العقيلة زينب للحسين (ع): إن القوم قد اقتربوا منا، فالتفت الحسين (ع) إلى أخيه أبا الفضل قال: أخي أبا الفضل بنفسي أنت اركب إليهم وانظر ماذا يريدون؟

أقبل إليهم أبو الفضل، سألهم عمّا يريدون.

قالوا: جاء أمر الأمير ابن زياد إما أن تنزلوا على حكم الأمير، أو نناجزكم الحرب.

رجع العبّاس إلى الحسين (ع) وأخبره بذلك.

قال: أطلب منهم أن يمهلونا هذه الليلة لعلنا نصلي إلى ربنا، فإن ربي يعلم أني أحب الصلاة والقرآن وكثرة الاستغفار.

عاد إليهم العبّاس (ع)، وطلب منهم المهلة، قال قائلهم: أما والله لو كانوا من الترك أو الديلم لأمهلناهم.

أمهلوهم تلك الليلة فكانوا بين

قائم وقاعد وراكع وساجد.

الحسين (ع) في تلك الليلة سُمع وهو يقول: «يا دهر أُفّ لك من خليلِ»، إمامنا زين العابدين (ع) يقول: «سمعت أبي الحسين وهو ينشد ويقول:

يا دهرُ أُفّ لكَ كم لكَ بالاشراقِ
من صاحبٍ وطالبٍ وكلُّ حيّ سالكٌ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ

علمت أن الحسين يدعى نفسه فأخذتني العبرة، ولكن ملكت نفسي، أما عمّتي زينب فإنها امرأة ومن شأن النساء الرقة لما سمعت ذلك صاحت:

واغوثاه واضيعتنا بعدك يا أبا عبد الله».

إنا لله وإنا إليه راجعون [وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(٢ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثانية:

معالم الحركة الاصلاحيّة لدى إبراهيم (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْراهِيمَ * إِذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما ذا تَعْبُدُونَ * أَإِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ * فَما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ] .[1]

قال إمامنا الحسين (ع): «**ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسهُ، فليرحل معنا فأني راحل مصبحاً إن شاء الله**».[2]

* * *

حديثنا عن الحركة الاصلاحية والتجربة التغييرية للأنبياء (ع).

بدءاً من نوح (ع) أبي الأنبياء وحتّى الحسين (ع) سيد الشهداء، هذه الليلة حديثنا عن تجربة إبراهيم الخليل (ع)، تحدّثنا سابقاً عن الحركة الاصلاحية لنوح على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام بشكل موجز وخطوط عريضة.

---

(١) الصافات: ٨٣ - ٨٧.

(٢) مثير الأحزان: ٢٩.

ما هي معالم حركة نوح (ع)؟

ما هي الأهداف التاريخية والتغييرية حسب ما يذكره القرآن؟، أشرنا إلى هدفين:

الهدف الأوّل: نبذ الوثنية.

الهدف الثاني: نبذ الاستعباد والطبقية.

ثمّ تحدّثنا عن آليات تجربة نوح (ع) أبي الأنبياء وحركته الاصلاحية. وكان على رأس تلك الآليات الحوار المفتوح، والصبر، والمواصلة، لأجل تحقيق عملية لتغيير.

تجربة إبراهيم (ع):

اليوم حديثنا عن تجربة إبراهيم على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، وهو ثاني الأنبياء من أولي العزم. النبي الأوّل الذي حمل رسالة وتشريعاً للبشرية هو نوح (ع)، وبعد فاصلةٍ تزيد على سبعمائة وتسعين عاماً جاءت الرسالة الثانية الاصلاحية التغييرية الإلهية وهي رسالة إبراهيم (ع) الذي

عاش من العمر مئة وخمسة وسبعين عاماً. وفي اعتقادي إن هذه الأبحاث هي في غاية العمق، لكن أنا مضطر لتبسيطها ولتناول عناوين منها، وذكر بعض القصص التاريخية فيها حتّى يكون الجو متماسكاً بما فيه من قرآن وتاريخ وموعظة ثمّ نصل للحسين (ع).

شخصيّة إبراهيم *(ع)*:

ليس الحديث عن شخصية إبراهيم (ع) في هذه المحاضرات، شخصيته المتميزة من بين الأنبياء (ع)، لا نلاحظ في القرآن الكريم تسليطاً للضوء وتمييزاً لنبي من الأنبياء، كما جاء لإبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

القرآن مرةً يقول: [إِنَّ إِبْراهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ]. (١)

ومرة يقول: [وَاتَّخَذَ اللَّهُ إبراهيم خَلِيلاً]. (٢)

(١) هود: ٧٥.
(٢) النساء: ١٢٥.

وتارةً يقول: [إِنَّهُ كانَ صِدّيقاً نَبِيًّا]. (١)
وأخرى يقول: [وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ]. (٢)

تميّز ولمعان في تاريخ الأنبياء (ع) خاص بشخصية إبراهيم (ع) حتّى وصلنا إلى أن القرآن الكريم يعتبر إبراهيم (ع) هو أصل الإسلام وهو أبوكم ونبيكم حيث يقول: [مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ] (٣) ثمّ يقول: [ما كانَ إِبْراهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرانِيًّا وَلكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]. (٤)

الحنيفيّة الكبرى:

هناك تميز مخصوص يرجع إلى ابداع في شخصية إبراهيم (ع)، من أجل ذلك كانت مسألة الصراع على شخصية إبراهيم (ع)، اليهود يريدون أن يستميلوا إبراهيم (ع) إليهم، النصارى يريدون أن يستميلوا إبراهيم (ع) إليهم، الإسلام يقول: إبراهيم (ع) لا لليهود ولا إلى النصارى، وإنما هو أصل الحنيفية الكبرى التي هي

---

(١) مريم: ٤١.
(٢) البقرة: ١٣٠.
(٣) الحج: ٧٨.
(٤) آل عمران: ٦٧.

عبارة عن دين النقاء والطهارة والإسلام لله بمعناه العام.

نشوء المجتمع السياسي:

حديثنا هذه الليلة عن الحركة التي قادها إبراهيم (ع) وتجربته.

لقد عاش (ع) عهداً بشرياً جديداً كما يبدو تاريخياً، هذا العهد الذي عاشه هو بداية لتأسيس المجتمع السياسي، أي انه ما قبل إبراهيم (ع) لم يكن هناك مجتمع سياسي، كانت عشائر وقرى تعيش هنا وهناك، لكن في عهد إبراهيم (ع) شهدنا ملكاً ومؤسسات دولة، وضرائب وجنود يأخذون الضرائب من الناس، بدايات تشكيل المجتمع السياسي، بينما أمس تحدّثت لكم إن نوح على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، لم يواجه ملكاً، وإنما كان يواجه قوماً، لكن الآن وفي زمن إبراهيم (ع) أصبحنا نجد هناك ملكاً في العراق وفلسطين ومصر لأن إبراهيم (ع) هو وليد العراق، أو بالأحرى هو وليد منطقة من

أطراف الكوفة، ثمّ ارتحل من هذه المنطقة إلى أور، ثمّ إلى فلسطين، ثمّ إلى مصر، هذه رحلة إبراهيم (ع)، إذن هو قد عاش بداية تكون المجتمع السياسي. وتاريخ إبراهيم (ع) بالنسبة لنا يمتد إلى أربعة آلاف عام. وهذا التاريخ هو تاريخ حمورابي، وكان مقارناً لظهور الشرائع وهنا كانت شريعة حمورابي: الشريعة العلمانية وليست الإلهية، وجاء إبراهيم ليعطي شريعة إلهية، حيث كانت هذه المدة هي الفاصلة بيننا وبين إبراهيم (ع).

أهداف إبراهيم (ع):

ما هي أهداف تجربة إبراهيم (ع)؟

وما هو منهجه؟

إبراهيم كان له هدفان:

الهدف الأوّل: التوحيد ومحاربة الأصنام، كما سنقرأ ذلك في القرآن الكريم.

الهدف الثاني: بناء المجتمع الصالح على أُسُس صالحة سُمّيت

بالحنيفية، [وَلَكِنْ كانَ حَنِيفاً مُسْلِماً]. (١)

هناك شيء اسمه الحنيفية.

وهذا في الحقيقة اصطلاح جديد، كما هو في زماننا حديث عندنا اصطلاح ديمقراطية واشتراكية. إبراهيم (ع) جاء بالديانة الحنيفية، وأصلها اللغوي: الطهر والطهارة أي الطهر والنقاء، هذه هي الأُسُس التي دعا إليها إبراهيم (ع)، دعا إلى تشكيل المجتمع على هذه الأُسُس.

معالم المنهج الإبراهيمي:

ما هو المنهج؟ هناك خمسة معالم لمنهج إبراهيم (ع):

المعلم الأوّل: اعتماد اسلوب الحوار والدليل العلمي.

المعلم الثاني: التحدي الميداني والدخول في مواجهة.

المعلم الثالث: التركيز على القيم الأخلاقية والسنن الصالحة.

---

(١) آل عمران: ٦٧.

المعلم الرابع: عدم الدخول في مواجهة الملك والسلطان.

المعلم الخامس: البراءة من أعداء الله والهجرة والمقاطعة لهم.

نتحدّث عنها بشكل موجز.

المعلم الأوّل: الحوار:

إبراهيم (ع) يؤمن بالحوار والمناقشة الحرة، حتّى على مستوى الإيمان بالله تبارك وتعالى لاحظوا قوله تعالى: [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم] أيها الناس اطلعوا على مسيرة أنبيائكم، اعرفوا حركة أنبيائكم الاصلاحية وماذا عملوا [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إبراهيم * إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ * قالُوا نَعْبُدُ أَصْناماً فَنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ * قالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قالُوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ][1] لاحظوا ههنا مناقشة وحوار.

في سورة الشعراء استعراض لهذا الحوار بينه وبين قومه، حيث لا يوجد دليل علمي لديهم، عندما قال لهم: [هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ]؟ لم يكن

(١) الشعراء: ٦٩ - ٧٤.

لديهم جواب سوى أنهم يتبعون آباءهم، [قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ]. (١)

المعلم الثاني: التحدي والمواجهة الميدانية:

ذكرنا أن نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أيضاً بدأ آلية الحوار مع الناس، لكن الفرق بين نوح وإبراهيم H نجدهُ في عدم دخول نوح (ع) في مواجهة. بينما إبراهيم (ع) دخل في تحدي ومواجهة.

كيف دخل إبراهيم (ع) في تحدي ومواجهة؟

قوم نوح (ع) يتحدث عنهم القرآن قائلاً: [وَمَكَرُوا مَكْراً كُبّاراً * وَقالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُواعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً] (٢) ومع ذلك لم يدخل نوح (ع) معهم في مواجهة ميدانية ومعركة، بينما إبراهيم (ع) قال: [وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قالُوا مَنْ فَعَلَ هذا بِآلِهَتِنا إِنَّهُ لَمِنَ

(١) الأنبياء: ٥٣.
(٢) نوح: ٢٢ و٢٣.

الظَّالِمِينَ][1] أنا سأدخل معكم معركة على الأرض ليس مجرد حوار فقط، بل سوف أدخل معكم في تحدي ومواجهة، وهذه نقلة في الحقيقة ما وجدناها في الأديان السابقة. هذه بدأها إبراهيم (ع). قالوا: سمعنا ان هناك فتىً اصلاحياً نازلاً في الميدان يقال لهُ إبراهيم، [قالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبْراهِيمُ * قالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ]، في قصة حدّثتكم بها في محاضرات سابقة انهُ كسَّر الأصنام إلاّ الصنم الكبير، وعلّق الفأس عليه، فلما سألوه: يا إبراهيم من كسَّر الأصنام أأنت؟ قال: لا، هذا كبيرهم الصنم الكبير ألا ترون الفأس على رأسهِ اسألوهم، [فَسْئَلُوهُمْ إِنْ كانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلى أَنْفُسِهِمْ فَقالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ]، هذا صنم لا يتكلم لا يتحرك، إبراهيم (ع) حجته قوية، فرجعوا إلى أنفسهم أي أصبحوا يتشاورون فيما بينهم، ثمّ طأطاوا رؤوسهم [ثُمَّ نُكِسُوا عَلى رُؤُسِهِمْ]، أحدهم يقول للآخر: [لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤُلاءِ يَنْطِقُونَ].

هذا معلم جديد في منهج إبراهيم (ع) وسوف يمتد إلى موسى وإلى عيسى H في

(١) الأنبياء: ٥٧ - ٥٩.

مراحل متطورة، حتّى نصل إلى نبينا (ص) الذي أسس الدولة.

إبراهيم (ع) دعا إلى تشكيل المجتمع المدني المتحضر دون أن يؤسس دولة، ودون أن يتصدى للسياسة، ودون أن يطلب الملك والحكم. وهذه قضية متميزة سنجدها فرقاً ما بين الإسلام وما بين الأديان السابقة وهذا بحث عميق نكتفي بالإشارة إليه.

المعلم الثالث: الابتعاد عن المواجهة السياسية:

كان المعلم الثالث في حركة إبراهيم الخليل (ع): هو الابتعاد عن المواجهة السياسية فعملية تكسير الأصنام هي مواجهة، لكن يمكن أن نسميها مواجهة عقائدية وليست مواجهة سياسية مع الدولة ومع الحاكم ومع المَلِك، لا توجد مواجهة سياسية لدى إبراهيم (ع). لقد ذهب إلى الأصنام وكسّرها، وهنا القرآن الكريم يشير إلى أن إبراهيم (ع) في الوقت الذي لم يدخل في المواجهة السياسية، لكن

الملك والدولة جرّتهُ إلى مواجهة سياسية، أي بدأ السلطان يتحرش بالنبي وليس النبي هو الذي يتحرش بالسلطان بخلاف الحال عند موسى (ع) حين قال له الله تعالى ولأخيه هارون: [اذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طغى] أي أن النبي موسى وهارون H كان مكلفاً بالتصدى للعملية السياسية [فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى][1] أمّا إبراهيم (ع) فرغم أن هناك مَلِكاً موجوداً اسمه نمرود في العراق لكن القرآن الكريم لا يشير أبداً إلى أن إبراهيم الخليل (ع) أُمر بالذهاب إلى هذا السلطان ومحاججته، وإنما القرآن يقول: [أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ] نمرود هو الذي ناقش إبراهيم (ع) وحاججه وليس إبراهيم (ع) من ناقشه [أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِي حَاجَّ إبراهيم فِي رَبِّهِ أَنْ آتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إذْ قال إبراهيم رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قال أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قال إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِها مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ]،[2] الفكرة هي أن السلطة السياسية هي التي أرسلت على إبراهيم (ع) وبدأ

(١) طه: ٤٣ و٤٤.
(٢) البقرة: ٢٥٨.

يحاجه الملك، بخلاف ما سنجده في موسى (ع) وما بعده حتّى نصل إلى نبينا محمّد (ص) الذي أسس وقاد دولة.

إبراهيم الخليل (ع) كان يدعو إلى تشكيل مجتمع متمدن. وهذا المجتمع المتمدن الذي يدعو إليه إبراهيم (ع) يكون قائماً على قيم وأصول وليس على دكتاتوريات كما في حكومة نمرود.

المعلم الرابع: الهجرة:

الهجرة هي مشروع إبراهيمي. وهو الذي شرّعه وهي أحد الآليات التي استخدمها إبراهيم (ع) وكذلك المقاطعة والبراءة من الذين كفروا [قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ][1] هاجر إبراهيم (ع) إلى فلسطين، حيث لم يؤمن به إلاّ زوجته ولوط (ع) (وهو ابن خالته)، وهؤلاء الثلاثة قرروا الهجرة [فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ

(١) الصافات: ٩٩ و١٠٠.

إلى ربّي]. [١]

قصة إبراهيم والمَلِك:

وكما تقول الروايات كانت زوجة إبراهيم (ع) سارة حسناء جميلة ولهذا صنع لها تابوتاً أي صندوقاً كبيراً وجعل زوجته سارة داخل الصندوق وفي الطريق قطعه بعض العشارين _ وهم جباة ضرائب للدولة _.

قال له: يا إبراهيم اعطني عُشر ما عندك.

فقال له إبراهيم (ع): اعطيك كل ما تريد إلاّ الصندوق فلا تفتحه.

فأصرَّ على فتح الصندوق ثمّ فتحه بالقوة وإذا بامرأة حسناء جميلة.

قال: والله لأخبرنّ المَلِك، وأخذوا إبراهيم (ع) ومن معه إلى المَلِك.

فقال المَلِك لإبراهيم (ع): افتح الصندوق فلم يقبل إبراهيم (ع)، ففُرض عليه ان يفتحه وإذا بزوجته الحسناء فأُعجب بها المَلِك فمدّ يده إليها

(١) العنكبوت: ٢٦.

ليلمسها، إبراهيم (ع) أعرض بوجهه حياءاً وسأل الله تعالى أن يصدّه عنها.

الروايات تقول: فوقفت يد الملك لا متقدمة ولا متأخرة.

الملك أصبح في حرج شديد.

قال: يا إبراهيم إلهك فعل هذا؟

قال (ع): نعم.

قال الملك: ادعُ إلهك أن يعيد إليّ يدي.

قال إبراهيم (ع): على أن لا تعود إلى هذا الفعل.

قال: لا أعود، فدعا الله تعالى لأن يرد يده، فردها الله سبحانه وتعالى.

ومرة أخرى نظر الملك إلى سارة فمد يده إليها وأيضاً وقفت يده ولم يلمسها وإبراهيم (ع) أيضاً أعرض بوجهه، لكي لا يرى مشهد الاعتداء على زوجته، ودعا الله تبارك وتعالى أن يقيها شر هذا الملك، وبالفعل استجاب الله دعائه.

التفت الملك إلى إبراهيم (ع)

وقال: يا إبراهيم هل ربك هو الذي فعل بي هذا؟

قال (ع): نعم.

قال: سله أن يفرج عني.

قال (ع): بشرط أن لا تعود وإذا عُدت فلن أدعو لك مرة ثالثة.

قال: لك عليّ أن لا أعود، فدعا إبراهيم (ع) ربه أن تعود الحالة الطبيعية للملك.

قال: إن ربك لغيور.

قال (ع): نعم إن ربي لغيور، يكره الحرام.

أنظروا لبداية القيم الأخلاقية وتركيزها في المجتمع، هذه أسس وقيم وعلى السلطان أن يخضع لهذه القيم الأخلاقية، وإبراهيم (ع) يومئذٍ _ قبل أربعة آلاف عاماً _ يتحدّث بقيم أخلاقية (غيور، يكره الحرام) بحيث يُعرض بوجهه ولا يرى منظر الملك وهو يمد يده إلى زوجته، فأعجب به الملك وبشخصيته.

قال: إني أريد منك شيئاً.

قال (ع): ما هو؟

قال: لأني رأيت شخصيتك العظيمة ورأيت شخصية زوجتك المحترمة أيضاً فأريد أن أُخدمها جارية قبطية عندي.

قال (ع): افعل.

فوهب المَلِك جارية قبطية اسمها (هاجر) إلى سارة وقَبِلها إبراهيم (ع)، ثمّ ودَّعه راحلاً إلى فلسطين، ومكث في فلسطين، والقصة هنا تقول انه لم يكن يولد له ولد من سارة.

سارة قالت لإبراهيم (ع): أنا سأبيعك أو أهب لك هذه الجارية فتصير جاريتك وحينها تستطيع أن تقترب منها وهكذا كان فولدت له إسماعيل.[1]

نستنتج من هذا إن إبراهيم (ع) لم يدخل في مواجهة سياسية مع السلطان، ارتحل من العراق والتقى بالسلطان لكن لم يدخل معه في مواجهة قال: [إِنِّي ذاهِبٌ إلى رَبِّي سَيَهْدِينِ].

(١) أنظر: الكافي ٨: ٣٧٠/ ح ٥٦٠.

المعلم الخامس: تأسيس قواعد المجتمع المتمدّن:

إبراهيم (ع) كان غاية في السطوع، أي أن نجم الأنبياء هو إبراهيم (ع) [مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ]،[1] سطوع على مستوى التشريع وعلى مستوى القيم الأخلاقية، هنا المفسرون يذكرون أن:

الصلاة: هي تشريع إبراهيمي، الحج: تشريع إبراهيمي، بناء الكعبة: هو تشريع إبراهيمي ومؤسسة إبراهيمية، الزكاة: مشروع إبراهيمي. وهي تعني مجتمعاً متمدناً ومتحضراً يؤخذ من الغني للفقير على شكل ضرائب قانونية وليس على شكل لصوصية وسرقات، هذه معالم المجتمع المتمدن وإبراهيم (ع) كان يرسمها حيث لم تكن من قبله موجودة.

وأوّل من شرع السلام هو إبراهيم (ع) فأصل (سلام عليكم) هو إبراهيم، أمس ذكرنا بأن أوّل من شرع (بسم الله) هو نوح

---

(١) الحج: ٧٨.

(ع) قال: [ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها][١] ولكن أوّل من شرع السلام هو إبراهيم (ع) في قصته مع أبيه آزر قال: [سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي][٢] حيث هدده أبوه بالهجر والطرد، وكانت هذه بداية تشريع السلام ومنه الإسلام ومنه عملية السلام العالمي.

الإسلام هو داعية السلام العالمي، والأنبياء هم دعاة السلام العالمي وهذا حديث واسع.

أيضاً يستمر إبراهيم (ع) في تأسيس قواعد المجتمع المتمدن والمتحضر، ومن جملة تلك القواعد هي: النقاء المادي إضافة إلى النقاء المعنوي، الصلاة نقاء معنوي قلبي، لكن إبراهيم (ع) ذكر شيئاً آخر وهو ان المجتمع يجب أن يقوم على أسس من الطهارة والنقاء والنظافة، فهناك مجتمعات متخلفة وبعيدة عن النقاء

(١) هود: ٤١.
(٢) مريم: ٤٧.

والنظافة، الإسلام هو قمة في ثقافة النظافة، الروايات تقول إن إبراهيم (ع) جاء بالحنيفية وهي تعني الطهارة، وهي عبارة عن عشر سُنَن: خمس في الرأس، وخمس في البدن. إبراهيم (ع) وقبل أربعة آلاف سنة رسَمَ لنا الحنيفية الكبرى.

الرواية عن الإمام الصادق (ع): «الطهارات العشر الحنيفية البيضاء، خمس منها في الرأس، وخمس منها في البدن، أما التي في الرأس فأخذ الشارب، وإعفاء اللحى، وطم الشعر _ دفنه _ والسواك والخلال، أما التي في البدن فحلق الشعر من البدن، والختان، وتقليم الأظفار، والغسل من الجنابة والطهور بالماء».[1]

هنا إبراهيم (ع) بدأ يؤسس لمجتمع مدني متحضر قبل أربعة آلاف عام وينظر إلى مدى بعيد ويقول: [وَاجْعَلْ

(١) ميزان الحكمة ٤: ٣٠٦٠.

لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ[١] أي ينظر إلى مدى الدهر، وهو يريد للحياة الأخلاقية والسنن أن تستمر، والله تبارك وتعالى استجاب له فنحن ملة إبراهيم (ع) وأمّته.

المعلم السادس: التسليم:

وأخيراً في المنهج الذي استخدمه إبراهيم (ع) هو الطاعة المطلقة لله، والتسليم له وعدم فرض الرأي على الوحي.

الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم (ع) بأن يأخذ زوجته هاجر ويتركها في مكّة المكرمة، حيث الواد غير ذي الزرع، فنفذ إبراهيم (ع) أمر الله سبحانه وأخذ زوجته هاجر وولده إسماعيل (ع) وهو طفل صغير يرضع وهناك لا يوجد طعام ولا ماء، ومع ذلك استجابةً لله تبارك وتعالى فقد استسلم إبراهيم (ع) وترك زوجته [بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ

(١) الشعراء: ٨٤.

الْمُحَرَّمِ][1] هنا تعلقت هاجر بإبراهيم (ع) وقالت: إلى من تتركني، هل هذا بأمر الله؟

قال (ع): نعم هذا بأمر الله.

قالت: إذن الله تعالى سيتكفل بنا.

و هذا يدل على أنها امرأة عظيمة، حيث لمّا أخبرها إبراهيم (ع) أن هذا بأمر الله استسلمت.

التسليم هو مَعلم من مَعالم المنهج الإبراهيمي في الحركة الاصلاحية، ولهذا فإن إسماعيل (ع) سار على نفس الخط وكذلك إسحاق ويعقوب H، كل الأديان ترجع إلى إبراهيم (ع) لما لديه من روح التسليم لله تبارك وتعالى.

وتسليم آخر أيضاً هو قصة ذبح إسماعيل (ع)، لاحظوا روعة الارتباط بالسماء، قال: [يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ ما ذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَما وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنادَيْناهُ أَنْ يا إبراهيم * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا إِنَّا كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هذا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْناهُ بِذِبْحٍ

(١) إبراهيم: ٣٧.

عَظِيمٍ][1] هنا نعرف مدى التسليم لله تبارك وتعالى من قبل إبراهيم وإسماعيل H وهو ابن أحد عشر عاماً.

مقارنة بين الحسين وإبراهيم H:

حدّثتكم في المحاضرة السابقة أن الحسين (ع) كان يشهد أمّةً تعيش مرضين: المرض الأوّل هو فقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والمرض الثاني الذي عاشته الأمّة بعد رسول الله (ص) هو مرض فقد الإرادة على التغيير.

ولهذا الحسين (ع) كانت حركته باتجاه تزريق الإرادة في الأمّة.

«ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله، ألا واني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً».[2]

سمعت رسول الله (ص) يقول: «من رأى

---

(١) الصافات: ١٠٢ - ١٠٧.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٨٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ١٩٣.

سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله فلم يغير ما عليه كان حقاً على الله أن يدخله مدخله».[١]

«ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فاني راحل مصبحاً إن شاء الله».

هذا هو مشروع الهجرة.

ومشروع الدعوة للقيم الأخلاقية في يوم عاشوراء حين قال (ع): «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن ذمام».

هذه قيم أخلاقية، فصحيح إن بيننا معركة، لكن نحن لدينا أصول في المعركة والأصل هو القيم الأخلاقية «أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهنّ ذمام فاتركوا حرمي واقصدوني إن كنتم عُرباً كما تزعمون».[٢]

كان هذا هو اتجاه حركة الحسين (ع).

---

(١) مثير الأحزان: ٢٩.

(٢) لواعج الأشجان: ١٨٥.

معركة الحسين (ع) غير مسلَّحة:

وهنا قضية مهمة نشير إليها وهي: أن الحسين (ع) لم يقم بحركة مسلحة على خلاف ما هو المتصوّر عند الناس. فالحسين (ع) لم يقم بحركة عسكرية ولا ثورة مسلحة، بل كانت تغييراً سلمياً، لكن القتال فُرض عليه وقاتل قتالاً دفاعياً، فلو كان الإمام (ع) يريد قتالاً عسكرياً لكان حشَّد لذلك الحشود.

الرواية تقول: حينما كان يوم التاسع من المحرم الحرام وأمر ابن سعد الخيل فزحفوا نحو الحسين (ع) ورمته الرماة وشكّت أزر النساء، هنا شمر بن ذي الجوشن جاء إلى الحسين (ع) ليخاطبه، فأراد بُرير أن يرميه بسهم، لكن الحسين (ع) قال: «لا ترمه إني أكره أن أبدأهم بقتال».

الحر الرياحي حينما اصطدم مع الحسين (ع) في الطريق، زهير بن القين قال: يا بن رسول الله ألا نقاتل هؤلاء _ حيث كانوا ألف مقاتل _ فهم

أهون علينا ممن يأتي بعدهم.

قال الإمام (ع): «أنا لا أحب أن أبدأ بقتال» وهو على ذلك المنهج إلى آخر وقت قبل بدء المعركة حيث حاول الدخول في مفاوضات في اليوم السابع من المحرم الحرام مع ابن سعد.

هذه هي الحركة الحسينية والتغيير الاصلاحي الذي قاده الحسين (ع).

لقد كان واحداً من معالم الحركة الحسينية هو الهجرة، والحوار، وأخيراً التسليم لله تعالى وهو الذي كان عند إبراهيم (ع).

أنا بهذا الصدد ذكرت بيتين لأستاذنا آية الله الشهيد الفقيد الشيخ محمّد تقي الجواهري حيث يقول مقارناً بين الحسين وإسماعيل H:

فإن يكُ إسماعيلُ إلى الذبح في حجر
فإن حسيناً أسلمَ إلى الذبح في سيف

إنا لله وانا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(٣ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثالثة:

أهداف الحركة الاصلاحيّة لدى إبراهيم (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[إِنَّ إبراهيم كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَباهُ وَهَداهُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * ثمّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبراهيم حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] . (١)

قال إمامنا الحسين (ع):

«على الإسلام السلام إذ قد بليت الأمّة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله (ص) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه وقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يبقروا بطنه فابتلاهم الله بيزيد الفاسق». (٢)

إصلاح الدنيا والآخرة:

الحديث ما زال متصلاً عن الحركة الاصلاحية، والتجربة التغييرية

---

(١) النحل: ١٢٠ - ١٢٣.

(٢) أنظر: حياة الإمام الحسين X ٢: ٢٥٧.

لإبراهيم ثاني الأنبياء أولي العزم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام.

هنا يثار سؤال مهم، وهو من الأبحاث الساخنة المهمة في عصرنا هذا. وهو: هل أن بعثة الأنبياء (ع) هي من أجل إصلاح الدنيا أو من أجل إصلاح الآخرة؟ وهذا الأمر يرتبط بالحركة الاصلاحية للأنبياء (ع) ومنهم إبراهيم (ع).

ما هو هدف حركة الأنبياء (ع) أساساً؟ هل بعثهم الله تعالى لاصلاح الدنيا؟ أم بعثهم الله لاصلاح آخرة البشر؟ هذا بحث معاصر وساخن ومهم بين الإسلام وبين الليبرالية الحديثة.

الليبرالية الحديثة تقول إن الأديان _ وبقطع النظر عن صحتها أو عدم صحتها _ هدفها بناء ما بعد الموت، شغل الأديان ليس الدنيا، وإنما الآخرة أي أن الأنبياء (ع) يخططون لما بعد الدنيا، لكن السلاطين والملوك همُّهم التخطيط للدنيا، فالدنيا شغل الملوك والسياسيين

والسلاطين، والآخرة فهي شغل الأنبياء (ع) ولكن هذا التصوّر غير صحيح، ونظرية الأديان بشكل عام هي أن مهمة الأنبياء (ع) إصلاح الدنيا والآخرة معاً، وبدون إصلاح الدنيا لا يمكن أن يتقدم البشر بشكل جمعي نحو الآخرة، وبدون إصلاح المجتمع سياسياً فإن المجتمع سيسوقه الظالمون والكافرون والجبابرة إلى جهنم، ولهذا فإن القرآن يتحدث عن فرعون فيقول: [وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدى][1] ومن هنا فإن النظرية الدينية تقول إن مهمة الأنبياء ليست مفصولة عن ساحة الدنيا. فهم يعملون للدنيا والآخرة معاً، يقول القرآن الكريم بصريح العبارة:

[لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ][2] ومعنى [لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ] ليس لينجو يوم القيامة ويدخلون الجنّة فقط، وإنما ليبنوا حياة عادلة في الدنيا، ومن ثمّ

(١) طه: ٧٩.
(٢) الحديد: ٢٥.

تترتب الحياة السعيدة في الآخرة.

إذن في ضوء هذه الآية فإن الأديان والأنبياء (ع) مبعوثون لـ للدنيا والآخرة معاً.

قال تعالى: [وَالسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزانِ][1] فالأنبياء (ع) بُعثوا لمعالجة المشكلات الاجتماعية.

[وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزانَ].[2]

القرآن يخاطب المؤمنين ويقول: [وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ][3] لا تقولوا إن جُلّ همكم هو الآخرة وتتركون الدنيا لأهل الدنيا والجبابرة، بل ادخلوا معهم في معركة في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين أي ابنوا مجتمعاً سعيداً.

وهكذا القرآن الكريم يتحدث عن قيم أخلاقية لـ للدنيا وليس فقط للآخرة يقول: [وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً

(١) الرحمن: ٧ و٨.
(٢) الرحمن: ٩.
(٣) النساء: ٧٥.

فَكَرِهْتُمُوهُ][١] القرآن يتحدّث عن خلاصة دعوة الأنبياء (ع)، حينما يقول: [قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ][٢] أي أن المجتمع إذا قام على أساس الاستعباد والاضطهاد، حينئذٍ لا الدنيا تصلح ولا الآخرة وسوف تكون نتيجتهم مثل نتيجة قوم نوح وقوم لوط H، أو نتيجة الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله (ص) كما جاء في بداية الحديث في كلمة الإمام الحسين (ع) عن رسول الله (ص): «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان» فالخلافة قضية سياسية لكن الدين يتدخل في هذا الأمر، ثمّ يقول رسول الله: «فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه»[٣] ثمّ

(١) الحجرات: ١٢.
(٢) آل عمران: ٦٤.
(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ١٠٨؛ بحار الأنوار ٣٣: ٢١٧ وفيه: «سيظهر على الناس رجل من أمّتي عظيم السرة واسع البلعوم يأكل ولا يشبع يحمل وزر الثقلين، يطلب الامارة يوماً فإذا أدركتموه فابقروا بطنه» وفي ٣٣: ١٨٦: «إذا رأيتم معاوية يخطب على منبري

يقول الإمام الحسين (ع): «وقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يبقروا بطنه فابتلاهم بيزيد الفاسق»[١] فالإمام الحسين (ع) هنا يتحدث عن قانون إلهي و هو: إن الأمّة حينما تقبل بالانحراف وتستسلم له، فسوف يُسلَّط عليها الظالمون. لقد كانت نتيجة القبول بالانحراف في الأمم السابقة هو الانتقام السماوي والابادة العامة، كما في قوم نوح و قوم لوط H، لكن في أمّة رسول الله (ص) فإن نتيجة الانحراف السياسي ليس هو الابادة الجماعية، وإنما هو المزيد من الابتلاء والمحنة وتسلط الظالمين وكما يقول الحديث الشريف: «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولّى عليكم شراركم ثمّ تدعون فلا يُستجاب لكم».[٢]

فاقتلوه».

(١) مقتل الخوارزمي ١: ١٨٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٧٧/ خ ٤٧.

الاصلاح الأخروي مرتبط بالاصلاح السياسي، ومن هنا كانت خلاصة دعوة الأنبياء (ع) هو: [وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] .(١)

وفق الرؤية الإسلاميّة إن الدين غير مفصول عن السياسة، وإن الأنبياء (ع) مهمتهم هي إصلاح الدنيا والآخرة معاً كما سنقرأ ذلك.

الأنبياء (ع) أحياناً يدخلون في مواجهة مع الملوك والجبابرة وأحياناً لا يدخلون في مواجهة معهم، لكن الفهم القرآني يقول إنه دائماً هناك تقاطع بين حركة الأنبياء (ع) وحركة الظالمين، ومهما كان موقف النبي.

حتّى إذا لم يدخل في مواجهة مباشرة مع الملك الظالم، فإن الظلمة والملوك والجبابرة سوف يتعرضون للأنبياء (ع) كما قال فرعون: اني أخاف أن يفسد دينكم.

---

(١) الأعراف: ٥٦.

مثلاً أئمّتنا (ع) وفي عصور متعددة لم يتدخلوا في الشأن السياسي، لعدم توفر الشروط الموضوعية لكن رأينا أن السلاطين كانوا يتعرضون للأئمّة (ع) واحداً بعد واحد.

هجرة إبراهيم (ع):

الأنبياء (ع) كذلك كما في قصة إبراهيم (ع) عندما هاجر من العراق إلى فلسطين، فقد لاحقه نمرود مع إن إبراهيم (ع) كان يتناول قضية عقائدية بعيداً عن شأن الملك الجبّار، حيث قال وهو يخاطب قومه وليس المَلِك: [تَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ] لكن هنا تدخل نمرود في الأمر.

خمس كلمات:

الرواية تقول: إن إبراهيم (ع) لما أُلقي في النار، جاءه جبرئيل وأعطاه خاتماً مكتوباً فيه خمس كلمات: الكلمة الأولى: لا إله إلاّ الله، الكلمة الثانية: محمّد رسول الله، الكلمة الثالثة: ألجأت ظهري إلى الله، الكلمة الرابعة: أسندت

أمري إلى الله، الكلمة الخامسة: فوضت أمري إلى الله،[١] هذا اللجوء المطلق حينما يعيشه الإنسان حينئذٍ تصير النار شيئاً آخر: [بَرْداً وَسَلاماً عَلى إبْراهِيمَ]، وحينئذٍ يكون بطن الحوت ليونس صندوق أمان، ذلك بمقدار الانقطاع واللجوء إلى الله تبارك وتعالى.

وانتقل إبراهيم (ع) من العراق في طريقه إلى فلسطين، وألقي القبض عليه وبُعث إلى ملك الاقباط وهم الأكثرية في مصر _ وهو كافر _ وبعد قصة محاولة الملك أخذ سارة زوجة إبراهيم (ع) ثمّ منعه الله تبارك وتعالى من ذلك ثمّ أطلق سراح إبراهيم (ع) وكرمه ووهبه هاجر، أصبح الملك خاضعاً لإبراهيم (ع).

الرواية تقول: فتقدم إبراهيم (ع) والملك يمشي خلفه هيبةً وتكريماً لإبراهيم (ع) بعد أن رأى منه ما رأى، وأصبح هذا الملك وهو «عزارى» يمشي خلف إبراهيم (ع) فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم

---

(١) أنظر: تفسير القمي ٢: ٧٣.

(ع) أن لا تتقدم على الملك، ليتقدم الملك وأنت تمشي خلفه هيبةً واعظاماً وانه لا بدّ للناس من أمير براً أو فاجراً، فتوقف إبراهيم (ع) وحدّث الملك وقال له: بأن ربي أوحى إليّ أن أمشي خلفك، وربما يكون في هذا الموقف تحليل سياسي وهو إن الملك إذا مشى خلف إبراهيم فإن الملك يحاول أن يأخذ شرعية من إبراهيم (ع) ويقول: أنا من جماعة إبراهيم (ع)، وحينما يمشي إبراهيم (ع) خلف الملك فيعلم الناس بأنه مقهور ومظلوم وأنه لا بدّ من أمير برّاً كان أو فاجراً.

ومهما يكن فقد قال الملك لإبراهيم (ع): الله قال لك أن تمشي خلفي؟

قال (ع): نعم تعظيماً وهيبةً لك.

قال: إن ربك لحليمٌ رؤوف، وإنك ترغّبني في دينك ثمّ أسلم على يديه.[1]

هذه في الحقيقة هي من حكمة الأنبياء (ع)، وطرقهم في هداية الجبابرة.

الفكرة هي أن الأنبياء (ع) دائماً

---

(١) الكافي ٨: ٣٧٣/ ح ٥٦٠.

يهدفون إلى إصلاح الدنيا وإصلاح وهداية الملوك أيضاً، لكن أحياناً يتمكنون وأحياناً أخرى لا يتمكنون من ذلك.

الحركة الاصلاحية تنطلق من الصالحين:

أحد معالم الحركة الاصلاحية للأنبياء (ع) وعلى رأسهم إبراهيم (ع) أنها يجب أن تنطلق من الصالحين.

اليوم مثلاً حينما نتحدّث عن الاصلاح السياسي في العالم، لا يمكن أن يتم على أيدي الجبابرة والملوك، بل لا بدّ أن يأتي عن طريق أولئك الذين أصلحوا أنفسهم وهم الأنبياء وأتباع الأنبياء، ولهذا نحن نعتقد أن الاصلاح السياسي في العالم سيتم على أيدينا أي على يد قادة الإسلام وأمّة الإسلام، وليس على يد الأمم الأخرى، ولهذا القرآن يقول: [سَلامٌ عَلى نُوحٍ فِي الْعالَمِينَ][1] ثمّ يقول: [إِنَّهُ مِنْ عِبادِنَا

(١) الصافات: ٧٩.

الْمُؤْمِنِينَ][1] أي أن الاصلاح يجب أن يصدر من إنسان مؤمن، ولهذا القرآن يقول: [إِنَّ إبراهيم كانَ أُمَّةً قانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] .[2]

في قصة أخرى قال تعالى: [وَإِذِ ابْتَلى إبراهيم رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ][3] أي أن المصلح لا يمكن أن يكون ظالماً، ولا بدّ من أن يكون عادلاً مقداساً ورعاً نقياً وزاهداً في الدنيا، أمّا مثل يزيد، ومروان بن الحكم، وهارون الرشيد وصدام، فلا يمكن أن يقودوا حركة إصلاحية. وهكذا كل جبابرة العالم، لأنهم لم يبدأوا من إصلاح أنفسهم.

إبراهيم (ع) كان خليل الرحمن، أي انه غارق في العلاقة مع الله، وهي أروع صفة بعد صفة (حبيب الله) لنبينا محمّد (ص).

معنى خليل الرحمن:

---

(١) الصافات: ٨١.
(٢) النحل: ١٢٠.
(٣) البقرة: ١٢٤.

العرفاء والفلاسفة مثل ابن عربي يقفون عند وصف إبراهيم (ع) بالخليل ويقولون: إن معنى (خليل) هو دخول الشيء في جميع مسامات ومنافذ الشيء الآخر أي يتخلله، وإن معنى (إبراهيم خليل الرحمن) يمكن أن نتصوره بتصورين: إما أن الله تبارك وتعالى تخلّل في كل وجود إبراهيم (ع) أي في عروقه ومساماته، أي أن الرحمن قد خالط لحمه ودمه وعروقه وعظامه. وإما أن إبراهيم (ع) تخلّل في الذات الإلهية وفي كل موقع يوجد فيه اسم الله فيوجد فيه إبراهيم (ع). وربما يشير لذلك قوله تعالى: [وَكَذٰلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَالأَرْضِ]،[1] أما روايات أهل البيت (ع) فهي تقول:

إنما اتخذ الله إبراهيم (ع) خليلاً لثلاث صفات: «إفشاء السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام» اثنان منها للدنيا وواحدة للآخرة،

(١) الأنعام: ٧٥.

إذن حركة الأنبياء (ع) تبدأ من الدنيا، وإفشاء السلام تعني أن إبراهيم (ع) كان يريد السلام في الأرض ولا يريد الظلم ووجود الطبقة المظلومة والضعيفة، أمّا إطعام الطعام فإن إبراهيم (ع) كان كريماً ومضيافاً، أمّا الثالثة فالصلاة، أي أن المطلوب في حركة الأنبياء (ع) الاصلاحية هو متابعات دنيوية ومتابعات أخروية.

ضيف إبراهيم (ع):

ولهذا، وانطلاقاً من مسألة إطعام الطعام، وان هذه كانت خصوصية إبراهيم (ع) فقد كان في البادية، حيث يتحدّث القرآن الكريم ويقول: [هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبراهيم الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقالُوا سَلاماً قالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَراغَ إِلى أَهْلِهِ فَجاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قالَ أَلا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ][1] إن هؤلاء الملائكة جاؤوا في حالة ضيوف لإبراهيم

(١) الذاريات: ٢٤ - ٢٨.

(ع). و هذا خُلُق ومكرمة أخلاقية «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١] فالنبي يجب أن يكون أخلاقياً ومضيافاً في الدنيا، وهناك مسألة ثانية وهي إن هؤلاء الملائكة الأربعة أخبروا إبراهيم (ع) بأنهم جاؤوا إلى قوم لوط (ع) وأنهم يريدون أن ينزلوا بهم العذاب من السماء [لا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنا إِلى قَوْمِ لُوطٍ][٢] وأصبح إبراهيم (ع) يتوسل بالله تعالى ويقول: إلهي لا تنزل عذابك على قوم لوط، والقرآن يقول: [يُجادِلُنا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إِنَّ إبراهيم لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ][٣] أي أنه رقيق القلب.

الأمّة الإسلاميّة:

وهذا الموضوع في غاية الأهمية. فمن جانب أننا نحن أمّة رسول الله (ص) نُسمى الأمّة المرحومة التي لا ينزل عليها عذاب سماوي فيبيدها. وبالفعل

(١) مكارم الأخلاق: ٨؛ بحار الأنوار عن معاني الأخبار ٦٨: ٣٨٢.
(٢) هود: ٧٠.
(٣) هود: ٧٤ و٧٥.

إلى الآن ومنذ ألف وأربعمائة سنة، فإن الأمّة الإسلاميّة لم تتعرض للإبادة مثلما أُبيد قوم نوح وقوم لوط H وأمم كثيرة.

لماذا أصبحت هذه الأمّة مرحومة؟

فلسفة هذا الشيء هو إن هذه الأمّة لا يجف عنها الجذر النقي والطيب ولن تموت، أمّا تلك الأمم فإن الله تعالى يقول أن لا فائدة تُرجى منهم [وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفّاراً][1] وقد انتهى صلاحهم وأن أي قدرة على الحياة لا توجد عندهم، إذن تستحق الابادة، أما أمّة نبينا (ص) فانها أمّة تحتفظ بقدرتها على التكيف السريع والصلاح من جديد يوماً بعد يوم، وهذه هي الحقيقة فأمّة الإسلام لم تمت لحد الآن وهي من يقارع الكفر والكبر العالمي وببطولة عجيبة.

في هذه الأيام الناس كلها مشغوفة بالحسين (ع) اليوم مررت في الشارع

---

(١) نوح: ٢٧.

وأعجبني لافتة مكتوب فيها (هيئة عزاء مديرية شرطة مرور النجف) هذا في الحقيقة رحمة من الله تعالى أن شرطتنا ومرورنا وبلديتنا وكهرباءنا كلها تنادي (يا حسين).

ما الذي صنعه الحسين (ع)؟ وكيف أن الحسين (ع) يتفاعل مع قلوب وشرايين وأوردة الناس جيلاً بعد جيل؟ هذه هي الأمّة المرحومة، الصلاح لا ينقطع عنها وجذرها النقي لا يموت، فكلما تسقط ورقة تنبت ورقة أخرى، ولهذا فإن إبراهيم (ع) كان يدعو الله تبارك وتعالى أن يرزقه هذه الأمّة، فأمّته قد انتهت، ولكن نحن أمّة إبراهيم (ع) وهو كان وحده [إِنَّ إِبْراهِيمَ كانَ أُمَّةً]، (١) [رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ]، (٢) [رَبَّنا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] إلى أن يقول: [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ

(١) النحل: ١٢٠.
(٢) إبراهيم: ٣٥.

دُعاءِ * رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسابُ] . (١)

أهداف حركة الإمام الحسين (ع):

الإمام الحسين (ع) أيضاً يهدف لا صلاح الدنيا قبل الآخرة في حركته.

لاحظوا ماذا قال الحسين (ع) في حواره مع مروان في المدينة حينما عرض عليه مروان بأن يبايع يزيد حيث قال الإمام (ع): «على الإسلام السلام إذ ابتليت الأمّة براع مثل يزيد وقد سمعت رسول الله (ص) يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان فإذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان على منبري فابقروا بطنه، ولقد رآه أهل المدينة على منبر النبي ولم يبقروا بطنه، فابتلاهم الله بيزيد الفاسق» فحركة الإمام الحسين (ع) هي حركة إصلاحية على مستوى دنيا الناس وعلى مستوى دينهم وعلى مستوى آخرتهم جميعاً.

الإمام الحسين (ع) يريد أن يؤكد أن حركة الاصلاح لا يمكن أن يقودها مثل

(١) إبراهيم: ٣٧ - ٤١.

يزيد بن معاوية، لأن الاصلاح يقوده الصالحون فقط.

ولهذا قال (ع): «على الإسلام السلام إذا ابتليت الأمّة براع مثل يزيد».

في مثل هذا اليوم وهو اليوم الثاني من محرم الحرام وصل الحسين (ع) إلى كربلاء عام (٦١) للهجرة أي قبل (١٣٥٣) عاماً.

المؤرخون يقولون لما وصل الحسين (ع) إلى كربلاء توقف جواد الحسين (ع) ولم يتحرك، ورواية ثانية تقول: إن الحر الرياحي وقف أمام الحسين (ع)، وقال: هذه المنطقة على مقربة من النهر وأنا لا أسمح لك أن تتقدم، وعلى كلا الروايتين فالإمام الحسين (ع) وقف وأخذ قبضةً من التراب وشمّها ثمّ سأل: ما اسم هذه المدينة؟ قيل: اسمها نينوى، قال: ألها اسمٌ آخر؟ قيل: بلى، تسمى الغاضريات، قال: ألها اسمٌ آخر؟ قيل: بلى، تسمى كربلاء، قال: ها هنا محطّ ركابنا، ها

هنا سفكُ دمائنا ومحلّ قبورنا، بهذا حدّثني جدي رسول الله (ص).[١]

أنستْ رزيَتُكم سَلَفت وهوَّنت
تَبتلُّ منكم كربلا تَبتلُّ منّي

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(١) مثير الأحزان: ٣٥؛ اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩.

(٤ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الرابعة:

مقارنة بين موسى والحسين H

بسم الله الرحمن الرحيم

[قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قالُوا أُوذِينا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنا وَمِنْ بَعْدِ ما جِئْتَنا قالَ عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ] .[1]

قال إمامنا الحسين (ع): «**ألا ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، فإني لا أرى الموتَ إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً**».[2]

الحسين وموسى H:

الحديث هذه الليلة عن ثالث أولي العزم والحركة الاصلاحية التغييرية التي قادها موسى بن عمران على نبينا وعليه الصلاة والسلام. وهي من أعظم

---

(١) الأعراف: ١٢٨ و١٢٩.

(٢) تحف العقول: ٢٤٥.

الحركات النبوية التي سلط القرآن الكريم عليها أضواءاً كبيرة ما لم يسلطه على نبي من الأنبياء. فحينما تقرأ القرآن تجد أن قصة موسى وبطولات موسى ومواقفه ومعاركه تأخذ قسطاً كبيراً من القرآن الكريم. والتراث الروائي أيضاً مملوء أكثر ما يكون عن موسى (ع) وتجربته وقومه وما عاناه.

مما يظهر انه قاد حركة إصلاحية تغييرية متميزة. واليوم أسلط الضوء على بعض معالم هذه الحركة الاصلاحية التي قادها موسى (ع) حتّى نصل للإمام الحسين (ع) ونجد نقاط التشابه بين حركة الحسين (ع) الاصلاحية وبين حركة موسى (ع).

ومن الملفت للنظر أن الحسين (ع) حينما خرج من مكّة المكرمة استشهد بقوله تعالى: [فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ][1] وهي آيات تتحدث عن هجرة موسى (ع).

---

(١) القصص: ٢١.

وحينما هاجر من مكّة المكرمة أيضاً استشهد بقوله تعالى في قصة موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام: [وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ] .[1]

لاحظوا الحسين (ع) في بدايات حركته يستشهد بحركة موسى (ع)، هجرة موسى (ع) وكيفية هجرته، وسنجد هناك نقاط شبه بين حركة موسى (ع) وحركة الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام، وكما هو معروف لدينا أن حديثنا يكون مُنصَبّاً في هذه المحاضرات على بيان معالم الحركة الاصلاحية التي قادها الأنبياء (ع) مقارنةً بحركة الحسين (ع)، ولو كنّا نريد التوسّع في بحث حركة الأنبياء (ع) فإن تاريخ موسى (ع) يستحق عشرات الساعات من الدراسة والحديث والتحقيق كما أن القرآن الكريم أيضاً خصص شيئاً كثيراً لذلك.

نشأة موسى (ع):

موسى (ع) عاش ونشأ في مصر التي

(١) القصص: ٢٢.

كانت يومئذٍ يتقاسمها طبقة حاكمة مسلطة وطبقة محكومة مستضعفة، الطبقة الحاكمة هم الاقباط، وفرعون من هذه الطبقة، وأما الطبقة المسحوقة المستضعفة فهم الطبقة العبرانية أي العبرانيين وهم بنو إسرائيل. وبنو إسرائيل يعني بنو يعقوب، ويعقوب (ع) اسمه إسرائيل الله، وبنو إسرائيل هم الطبقة المستعبدة من قبل آل فرعون، موسى نشأ في هذا الوسط، وسط شريحة متدينة وهم بنو إسرائيل يومئذٍ وطبقة حاكمة متسلطة وهم الاقباط.

أهل اللغة يقولون إن أصل كلمة (موسى) من (مو) بمعنى الماء بالعبرية[1] و(سى) أو (سي) بمعنى الخشب، لأن موسى عثر عليه بين الماء والخشب، أو الأشجار حينما وضعته أمّه في صندوق وألقته في اليم، بينما كان فرعون وزوجته جالسين على النيل ووجدوا هذا الصندوق بين الأشجار والماء.

---

(١) لسان العرب ٦: ٢٢٤.

شخصية موسى (ع):

القرآن الكريم يعطي لشخصية موسى (ع) صفات وتكريماً مهماً، يقول: [إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا]. (١)

ويقول: [وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا]. (٢)

ويقول: [وَكانَ عِنْدَ اللهِ وَجِيهاً]. (٣)

ويقول: [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً] (٤) ولهذا يوصف موسى (ع) بأنه كليم الله، وهذا امتياز لموسى (ع)، فإن كل الأنبياء (ع) يوحي إليهم الله تعالى لكن هنا مع موسى (ع) توجد نقطة امتياز، وهي أنّ الله سبحانه وتعالى كلّمه مباشرةً. لقد قال تعالى: [وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً]، (٥) ولكن الله تبارك وتعالى في حديثه مع موسى (ع) كان يكلّمه تكليماً أي إن موسى (ع) كان يسمع الصوت مباشرة بدون جبرئيل ولا هو وحي في

(١) مريم: ٥١.
(٢) مريم: ٥٢.
(٣) الأحزاب: ٦٩.
(٤) النساء: ١٦٤.
(٥) الشورى: ٥١.

القلب وإنما يسمع الصوت من وراء حجاب أو من وراء شجرة ومن النار [يَا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ][١] فهو يجد أن الله يتكلم، [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً].[٢]

الحقيقة أن موسى (ع) يمثل بداية مرحلة جديدة في حركة النبوة، وهي انتقال من مرحلة إبراهيم إلى مرحلة موسى H وبعدئذٍ سنجد انتقالاً من مرحلة موسى إلى مرحلة عيسى H حتّى نصل بعدئذٍ إلى انتقال من مرحلة عيسى (ع) إلى مرحلة الدولة العالمية الكبرى التي دعا إليها نبينا (ص)، وهي بداية تأسيس العالمية الإسلاميّة وهذا ما سنصل إليه حينما ندرس التطور الذي حدث في حركة نبينا (ص).

ما هو التطور الذي حدث في حركة موسى (ع)؟

نوح (ع) كان يعمل على بناء مجتمع صالح دون أن يكون هناك دولة ومَلِك، قلنا إن نوحاً (ع) هو أوّل من وضع أساس

---

(١) النمل: ٩.
(٢) النساء: ١٦٤.

المجتمع المدني، لم يكن هناك مجتمعٌ سياسي فلا يوجد مَلِك ولا مؤسسات ولا مجتمع مدني، ولما وصلنا إلى إبراهيم (ع) وجدنا أن إبراهيم (ع) يعيش وجود مجتمع سياسي فهنالك ملك وهو نمرود وعزارى كما شرحناه سابقاً، لكن مع ذلك فإن إبراهيم (ع) كان يهدف لبناء القاعدة الجماهيرية ولا يهتم بالمَلِك، ولهذا فإن إبراهيم (ع) لم يدخل في معركة مع نمرود ولا مع عزارى وإنما هم الذين دخلوا في معركةٍ معه، أما موسى (ع) فقد شهد بدايات تأسيس المجتمع وعملية إسقاط الجبابرة، يعني بدأت حركة النبوة بالتطور التدريجي عبر تطور حركة المجتمع، وتاريخ موسى (ع) يلتهب بالحديث عن المعركة مع فرعون المتجبر، بينما لا نجد مثل هذا الواقع عند نوح وإبراهيم H. فلقد بُعث نوح (ع) إلى قومه، وكذلك بعث إبراهيم (ع) إلى قومه، أمّا موسى (ع) هذه المرة فإنه مبعوث إلى فرعون مباشرة لتتم عملية التغيير الديني من خلال التغيير

السياسي.

أهداف موسى *(ع)*:

لقد كان موسى (ع) يهدف إلى أربعة أهداف:

الهدف الأوّل: نبذ الوثنية والدعوة للتوحيد.

الهدف الثاني: إسقاط الحكم القائم وتأسيس حكم ديني.

أي أن موسى (ع) شهد بدايات العمل على تأسيس المجتمع الديني والانتقال من مجتمع مدني علماني إلى مجتمع مدني ديني يقوم على أساس الشريعة الإلهية، وعلى أساس القيادة الإلهية. وهذا ما سنشرحه بايجاز كما أن القرآن الكريم يلفت النظر ويسلط الضوء على هذه القضايا.

لقد كان الهدف الثاني بعد أصل التوحيد ونبذ الشرك هو إقامة الحكم الديني وتكوين الدولة، موسى (ع) كان يريد تكوين دولة إسلاميّة سياسية وليس مجرد قاعدة جماهيرية، بل كان يهدف إلى إسقاط حكم فرعون أو تصحيحه من أجل

تكوين دولة قائمة على أساس الدستور الإلهي.

الهدف الثالث: تكوين النخبة الصالحة.

وبما أنه في بداية الطريق فقد كان يعمل على تكوين النخبة الصالحة، وهو لم يستطع تكوين أمّة صالحة، بل استطاع تكوين نخبة صالحة. وعلى أساس ذلك فقد عمل موسى (ع) بمبدأ اعتماد المجتمع النخبوي، أي ان مجموعة صغيرة وحدهم أصبحوا يشكلون المجتمع الذي يريده موسى (ع) بمعنى إن الأقلية أصبحوا يشكلون وضعاً مستقلاً بعيداً عن الأكثرية، وهنا تأتي قصة بني إسرائيل وعبورهم من النيل إلى الجانب الآخر باتجاه فلسطين حيث شكلوا مجتمعاً نخبوياً، فقط بنو إسرائيل، هذا إذن مجتمع مصغّر.

الهدف الرابع: تكوين الدستور.

موسى (ع) وهو يهدف إلى تأسيس حكم ديني قدَّم لنا دستوراً ليس فقط في القضايا الأخلاقية وإنما دستوراً تعتمد

عليه الدولة، هذه هي شريعة التوراة، ولهذا تجدون القرآن الكريم لا يتحدّث عن صحف نوح أو صحف إبراهيم H وربما كانت موجودة والله العالم، لكنها لم تكن تمثّل دستوراً متكاملاً كما هو في التوراة، بينما بقيت التوراة إلى اليوم.

التوراة هي أوّل دستور تقوم عليه الدولة و هذا ما سنشرحه جزئياً ببعض الروايات.

لاحظوا موضوع الدستور _ ان الفاصلة بين إبراهيم وموسى H هي أربعمائة سنة إلى خمسمائة سنة تقريباً _ إبراهيم (ع) يمثل الأب السادس أو السابع لموسى (ع) _ القرآن الكريم يسلط الضوء على الدستور الذي جاء به موسى (ع) كدستور دولة ويقول: [وَكَتَبْنا لَهُ فِي الأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ][1] معنى هذا أن التوراة فيها دستور شامل وهذا لم يأت في رسالات نوح وإبراهيم H، وإنما جاء

(١) الأعراف: ١٤٥.

في رسالة موسى (ع)، [إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ]. (١)

القرآن الكريم يستمر في حديثه عن التوراة قائلاً: [وَكَتَبْنا عَلَيْهِمْ فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] (٢)

لاحظوا هذا تشريع قانون العقوبات، مما يعني العمل على تكوين دولة و قانون العقوبات الجنائية و هذا تطور في حركة الأنبياء حيث أنه لم يعد كافياً أن يقول الشخص (أشهد أن لا إله

(١) المائدة: ٤٤.
وهذه الآية هي من الآيات التي كان يستشهد بها أستاذنا آية الله العظمى الشهيد السعيد محمّد باقر الصدر رضوان الله عليه واعتبرها إحدى الآيات الدالة على موقعية الفقيه والمرجع الديني كشاهد على الأمّة في كتابه (خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء) وكان يقول رضوان الله عليه: أن (الربانيون) في الآية الكريمة هم الفقهاء [وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ وَكانُوا عَلَيْهِ شُهَداءَ].
(٢) المائدة: ٤٥.

إلاّ الله، وأشهد أن نوحاً نبي الله، وأشهد أن إبراهيم نبي الله) بل لا بدّ من تسليم للتشريع الإلهي، والذي لا يسلم بالتشريع الإلهي هو بمثابة الكافر [فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ][١] وفي آية أخرى [هُمُ الْكافِرُونَ][٢] ولعل الآيات التالية تشير بشكل واضح إلى هذا التطور في حركة موسى (ع) حين تقول:

[نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءَهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ][٣] ثمّ يقول تعالى: [وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ][٤] هنا القرآن حينما يتحدّث عن موسى (ع) يتحدّث عن مفهوم جديد اسمه مفهوم وراثة الأرض، يقول: [إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ] وهذه هي ثقافة تأسيس الدولة يعني يا

---

(١) البقرة: ٢٢٩.
(٢) المائدة: ٤٥.
(٣) القصص: ٤.
(٤) القصص: ٥ و٦.

أتباعي وأتباع الأديان والانبياء أنا أريدكم أن تكونوا ورثة الأرض وخلفاء في الأرض وتؤسسوا دولة [إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ][١] إلى أن يقول في بني إسرائيل: [وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ].[٢]

مواجهة السلطة:

هذه خطوة قام بها موسى (ع) والقرآن بشكل واضح جداً وفي عشرات الآيات يتحدّث عن معركة كبرى بين موسى (ع) وفرعون، مثلاً إن فرعون يقول لموسى (ع) لما جاءه: [قالَ أَجِئْتَنا لِتُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنا بِسِحْرِكَ يا مُوسى][٣] في إشارة واضحة إلى أن موسى (ع) كان يهدد السلطان، وما كان يتحدّث فقط عن قضية عقائدية وإنما كان يهدد السلطان.

في آية أخرى: [قالُوا إِنْ هذانِ لَساحِرانِ يُرِيدانِ أَنْ

(١) الأعراف: ١٢٨.
(٢) السجدة: ٢٤.
(٣) طه: ٥٧.

يُخْرِجاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ][١] أي إن موسى (ع) وهارون يخططان لثورة سياسية.

في آية أخرى: [قالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ][٢] إذن هنا عملية تغيير السلطة، هذا هو مشروع موسى (ع) ولم يكن هذا مشروع إبراهيم ولا نوح H، هذا ما نفهمه من القرآن حينما يقول: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنا مُوسى بِآياتِنا وَسُلْطانٍ مُبِينٍ * إِلى فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَقارُونَ][٣] أي إن الله سبحانه وتعالى وتعالى أرسل موسى (ع) إلى السلطة وليس إلى الناس فقط، وهو مكلّف بأن يتحدى السلطة ويدخل في معركة مع فرعون وهامان [اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى * قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي * هارُونَ أَخِي].[٤]

عقدة لسان موسى (ع):

---

(١) طه: ٦٣.
(٢) الشعراء: ٣٤ و٣٥.
(٣) غافر: ٢٣ و٢٤.
(٤) طه: ٢٤ - ٣٠.

ما هي العقدة التي كانت في لسان موسى (ع) وكيف كان هارون أفصح من موسى (ع) كما تقول الآية: [هُوَ أَفْصَحُ مِنّي لِساناً][1]؟

هناك عدة تفاسير لهذا الموضوع.

التفسير الأوّل: إن موسى (ع) في صباه أخذ جمرة ووضعها على لسانه واحترق لسانه وذلك لكي يخدع فرعون بأن موسى (ع) حينها طفل صغير لا يميز بين الجمرة والتمرة فأصبحت هناك لكنة في لسانه على أثرها.[2]

التفسير الثاني: إن موسى (ع) تأخر عليه الرضاع من لبن أمّه أيام صباه لما ألقته أمّه في اليم وأُخذ الصندوق وجيء به إلى قصر فرعون ثمّ جاؤوا بمرضعات ورفضهن موسى، وهذه تستغرق وقتاً طويلاً [وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ][3] فكان يُعرض عن الرضاعة من المرضعات إلى أن جاءت أخته وقالت: [هَلْ أَدُلُّكُمْ

(١) القصص: ٣٤.
(٢) تاريخ الطبري ١: ٢٧٤.
(٣) القصص: ١٢.

عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ][1] أي هل أدلكم على مرضعة؟ وهي أمّه وهي عبرية أيضاً فدُعيت وتقبّلها موسى (ع) فوراً [فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها][2] وأصحاب التجربة يقولون: إنَ الطفل إذا تأخر عليه الرضاع من أمّه فترة سوف يصير بلسانه لكنة، ويكون نطقه غير دقيق، وموسى ابتُلي بهذه القضية.

التفسير الثالث: يذكره الدكتور النجّار في كتابه قصص الأنبياء (ع) وهو تفسير لطيف رغم انه ليس يقينياً، يقول إن موسى (ع) هاجر من مصر إلى مدين وهي على بعد ثمان ليالٍ عن مصر، وهم قوم شعيب. وتعلمون بقصة سفر موسى (ع) إلى مدين وقصة الجاريتين وعمل موسى (ع) لدى شعيب لمدة عشر سنوات وتزوج إحدى ابنتيه، بعض الروايات تقول: إنه رجع بعد انقضاء العشر سنوات وروايات أخرى تقول: إنه مكث عشر سنوات أخرى أي انه قضى عشرين سنة في أرض الهجرة وبعيداً عن

---

(١) السابق.
(٢) القصص: ١٣.

لسان المصريين الاقباط، وحينئذٍ اختلط لسانه بلغات أخرى كما هو شأن من يهاجر عشرين سنة وهو في بداية شبابه حيث تنقطع عليه سبل الاتصال وخاصة في ذلك الزمن حيث لا يوجد الراديو والفضائيات وقنوات إخبارية وصحافة وكتب، يقول هذا التفسير إن ذلك هو منشأ إن هارون كان أكثر فصاحة من موسى (ع) لأن هارون عاش عمره كله في مصر ولم يهاجر ولم يختلط لسانه، ولذا قال موسى (ع): [هارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً]. (١)

مما يلاحظ أن موسى (ع) وهو يهدف إلى تأسيس المجتمع المدني الديني والدولة المدنيّة الدينية، أسسّ لظاهرة (الثقافة الدينية)، لقد كان موسى (ع) يعطي ثقافة دينية للناس، ومجمل رواياتنا يشير إلى ذلك.

لقد كان يكثر من الموعظة الدينية والارشاد، فرغم انه لا يوجد حينها تأليف وكتب لكن موسى (ع) أُثر عنه قصص جمّة في

(١) طه: ٣٠ - ٣٤.

تكوين ثقافة دينية.

تحجّر بني إسرائيل:

بنو إسرائيل الذين كانوا غايةً في التحجر قالوا له: يا موسى نحن نريد منك أن تدعو الله بأن ينزل المطر إذا أردنا ذلك، ويوقف المطر إذا أردنا ذلك، أي أن يفعل الله ما نريد نحن، كان هذا هو فهمهم لله تعالى ومستوى تعاملهم معه.

قال موسى (ع): إلهي أنا ابتليت ببني إسرائيل، إلهي إذا دعوك بنزول المطر فأعطهم وإذا سألوك أن ينقطع المطر فاقطعه، فاستجاب الله له ذلك، وأصبحوا بفضل ذلك يملأوون المخازن بالحبوب نتيجة كثرة الزراعة حتّى انه لم يبق لهم قدرة على التصريف، إلى أن ضجوا ورأوا أن هذا الأمر أصبح يضرهم.

قالوا: يا نبي الله نحن اشتبهنا والله أعلم منا بموعد نزول المطر وموعد انقطاعه حسب حالة متوازنة فاسأل الله أن يعود إلى مشيئته فيعطينا متى ما

أراد ذلك، ويقطع عنا متى ما أراد ذلك فهو أعلم بذلك منا.

موسى (ع) سأل الله ذلك، الله تعالى قال له: ألم أقل لكم أنا أعلم بالحكمة منكم؟، أنا أعرف لماذا أقطع المطر ولماذا أعطي المطر.

الحديث عن تحجر بني إسرائيل وثقافتهم السطحية. وكان موسى (ع) يعلّمهم الثقافة الدينية العميقة مرةً على لسانه هو، لأجل تربية الآخرين ومرة بعرض قصص مع نفس بني إسرائيل.

قصة الصياد:

لقد حدّثتكم عن قصة في مجالسنا الأسبوعية في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة. أن موسى (ع) كان واقفاً على النهر وإذا بصياد مشرك وبدون أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم نزل وألقى شبكة الصيد في الماء فخرجت مملوءة بالسمك الجيد فسحبها وبدون أن يقول شكراً لله ألقى الثانية والثالثة وكدها

تخرج مملوءة سمكاً، فأخذ السمك وذهب.

و جاء شخص فقير و مؤمن و قال: بسم الله الرحمن الرحيم وألقى الشبكة وسحبها وليس فيها شيء من السمك، وألقى الثانية وهو يدعو الله بالرزق ولم يكن فيها شيء أيضاً ثمّ ألقى الثالثة وإذا فيها سمكة صغيرة فأخذها وقال: الحمد لله والشكر لله.

موسى (ع) ينظر إلى المشهد وهو يريد أن يكوّن ثقافة دينية لدى قومه، فسأل الله تعالى وقال له: إلهي ان الصياد الأوّل كافر مشرك ملأ ثلاث شباك من السمك الجيد بلا حمد ولا شكر والثاني المسكين المؤمن في المرة الثالثة حصل على سمكة صغيرة، ما حكمة ذلك؟

فقال الله تعالى: يا موسى أنظر عن يمينك فنظر وشاهد ما أعده الله لهذا المؤمن من جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ثمّ قال: أنظر عن يسارك فنظر وشاهد ما أعده الله لذلك الكافر من

جهنم، ثمّ قال الله تعالى لموسى (ع): أنا أعددت هذا للمؤمن، وأعددت ذاك للكافر، المؤمن لا يفرق لديه إذا أعطيته سمكة صغيرة أو شيئاً كثيراً فالدنيا ليس لها قيمة لدى المؤمن فالمقياس للرزق ليس هو الإيمان والكفر.[١]

كان هذا كله باتجاه تكوين ثقافة دينية، وهكذا كان موسى (ع) يهدف إلى تكوين مجتمع إسلامي ثمّ دولة إسلاميّة فهو مسؤول عن تكوين ثقافة دينية كبيرة.

وفي هذا الاتجاه تحرك موسى (ع) لتكوين مجتمع النخبة أي مجموعة خاصة هم أقلية، ثمّ يخرج بهم وراء النيل ويكوّن لهم دولة صغيرة، وهذا هو ما طلبه موسى (ع) من فرعون [وَقَالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنّي رَسُولٌ مِنْ رَبّ الْعالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيل][٢] وقد يبدو أنه كان هدف موسى (ع)

(١) مشكاة الأنوار: ٥٠٣.
(٢) الأعراف: ١٠٤ و١٠٥.

في تلك المرحلة أن يخرج هو وبنو إسرائيل ويكوّن لهم مجتمعاً ودولة دينية لهم وحدهم، بعيداً عن الأكثرية وهم الاقباط، تكوين مجتمع نخبة وليس مجتمع قائم على أساس الشمولية والتعددية للجميع، [وَأَوْحَيْنا إلى مُوسى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً][1] الخطاب فقط لهؤلاء الأقلية وهم بنو إسرائيل. وهذا حديث واسع في قصة تأسيس. الدولة والقرآن الكريم يشير إلى ذلك، مصر فيها فرعون. وفرعون غرق في قصة معروفة، وبنو إسرائيل كانوا مع موسى (ع) في الجانب الآخر من النيل وهم ستة آلاف، وتوجد في الجانب الآخر فلسطين وغزة. وبنو إسرائيل أصبحوا في الصحراء المحاذية لفلسطين أي بيت المقدس، ومعنى المصر في قوله تعالى: [أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً] هو المدينة وهي فلسطين.

موسى (ع) يقول لهم ادخلوا مصر قالوا: [إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها]، الله تبارك وتعالى ابتلاهم بتيه دام

(١) يونس: ٨٧.

أربعين سنة في صحراء سيناء ومعهم نبيهم الأوّل والثاني أي موسى وهارون H وكان هذا الابتلاء نتيجة ثلاث مشاكل، ولمّا كانت الأمّة لا تستحق الهداية فإن النبي ضاع معهم أيضاً، يعني مثلما ان الحسين (ع) قُتل في كربلاء فالجرم ليس جُرم الحسين لكن الأمّة التي لا تستحق الحسين (ع) يُقتل فيها الحسين (ع)، هكذا الأمّة التي لا تستحق تكوين دولة دينية تبقى في الصحراء والنبي يضيع معهم أيضاً، واعلموا أن موسى وهارون H ماتا في التيه، أي أنهما لم يدخلا فلسطين وإنما بنو إسرائيل دخلوا فلسطين فيما بعد، أي أن موسى (ع) لم يشهد الدولة ولذا قلنا إن موسى (ع) شهد بدايات تأسيس دولة دينية، وابتُلي موسى (ع) ببني إسرائيل.

مشاكل بني إسرائيل:

بنو إسرائيل كانت لديهم مجموعة

مشكلات:

المشكلة الأولى: التردد السياسي.

المشكلة الثانية: الشك العقائدي.

المشكلة الثالثة: حب الدنيا.

و سوف نجد أن هذه المشاكل ابتُليت بها الأمّة الإسلاميّة بعد رسول الله (ص)، كما سنجد أن حركة الحسين (ع) كانت بصدد مواجهة هذه المشكلات الثلاث.

التردد السياسي عند بني إسرائيل عندما قال لهم موسى (ع): ادخلوا مصر قالوا: [إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها]، ثمّ قالوا لنبيهم: [فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ][1] وهذا صار شعاراً لبني إسرائيل.

زهير بن القين في كربلاء كانت هذه كلمته و هو يخاطب الحسين (ع): لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لنبيهم: [اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ] بل نقول لك: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، هؤلاء النخبة

(١) المائدة: ٢٤.

الحسينية وهم سبعون شخصاً مع الحسين (ع) الذين أنقذهم الله من مرض بني إسرائيل وهو التردد السياسي.

أمّا مرض الشك العقائدي فهو يعني أن أمّة رأت المعجزات الكبرى على يد موسى (ع)، ومع ذلك كله، وفي قصة خلاف عشائري وقتيل وجد مقتولاً على الأرض، وحين ارتفعت الشكوى إلى موسى (ع) قال لهم: إذا كنتم تريدون معرفة قاتله فاذبحوا بقرة وسوف تعرفون القاتل وذلك في قصة معروفة، ها هو موسى (ع) يقول لهم: اذبحوا بقرة فيقولون: ما هي؟ [وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً] فأوّل شيء قالوه له هو: هل تهزأ بنا يا موسى (ع)؟ [قالُوا أَتَتَّخِذُنا هُزُواً] وهذا شك بالنبي وصدقه رغم أنهم مؤمنون به [قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ] ولكنهم واصلوا لجاجتهم.

[قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ]؟

[قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا فارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا ما تُؤْمَرُونَ].

[قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما لَوْنُها]؟

[قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها تَسُرُّ النّاظِرِينَ].

[قالُوا ادْعُ لَنا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنا ما هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا وَإِنَّا إِنْ شاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ].

[قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيها].

[قالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ][1] فهم بعد كل الجدل والمعجزات قالوا في النهاية: [الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ] وكأن موسى (ع) كان قبل ذلك على باطل، ويشير القرآن إلى هذا المرض والتثاقل في قبول الموقف من النبي بالقول: [فَذَبَحُوها وَما كادُوا يَفْعَلُونَ]. وهذا هو التردد السياسي والعقائدي.

أمّا حب الدنيا عند بني إسرائيل فبمجرد أن صنع لهم السامري عجلاً له خوار مصنوع من الذهب، ارتدوا وخدعوا و[قالُوا هذا إِلهُكُمْ وَإِلهُ مُوسى فَنَسِيَ].[2]

القرآن الكريم يقول: [وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ][3] أي حب الدنيا. والقرآن يتحدّث إن

(١) البقرة: ٦٧ - ٧١.
(٢) طه: ٨٨.
(٣) البقرة: ٩٣.

نتيجة الأمّة التي يملكها حب الدنيا هي: [إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ] .(١)

معايشة الطبقة الضعيفة:

من معالم الحركة الاصلاحية لموسى (ع) هو المعايشة مع الطبقة المستضعفة، كما في قصة القبطي والإسرائيلي حين جاء موسى (ع) إلى جمهور الشعب وشاهد معركة محتدمة بين رجل من بني إسرائيل ورجل من الأقباط، وانتصر موسى لذلك الإسرائيلي على القبطي وقضى عليه، لقد كانت هذه صفة من صفات موسى (ع) أن يعيش ميدانياً مع المجتمع وينتصر للطبقة الضعيفة.

التنظيم السري:

لقد بقي موسى (ع) ثلاثين سنة في مصر الفرعونية، ويبدو أنه خلال هذه الفترة قام بعملية تنظيم نخبوي سري يقوده هو شخصياً من داخل القصر

(١) الأعراف: ١٥٢.

الفرعوني والله أعلم.

مقارنة بين موسى والحسين H:

توجد عشر نقاط تشابه بين الحركة الاصلاحية لموسى (ع) والحركة الاصلاحية للحسين (ع)، تشابه على مستوى الأمّة وعلى مستوى الحركة.

١ _ التردد السياسي لدى أمّة موسى والاقبال على الدنيا، وهو ما قامت به أمّة رسول الله بعد رسول الله (ص) وكما فعله أصحاب موسى (ع) من بني إسرائيل، وهي أحد أهم المشاهد التي تورط بها بنو إسرائيل والأمم السابقة، وكما حدث مع مسلم بن عقيل (ع) حيث كان معه ثمانية عشر ألفاً ولكنه بعد صلاة العشاء لم يجد من يدله على الطريق، هذا هو التردد السياسي وعدم الاقدام وحب الدنيا، حيث كانوا يقولون: (ما لنا والدخول بين السلاطين)،[1] ثمّ إن هؤلاء هم أنفسهم جاؤوا لحرب الحسين (ع)

(١) حياة الإمام الحسين X ٢: ٣٨٥.

والحسين ليس لديه إلاّ نخبة قليلة بينما الأعداء سبعون ألفاً أو ثلاثون ألفاً أو عشرون حسب الروايات[١] خرجوا في جيش ابن سعد، هذا هو التردد في طاعة الإمام المعصوم.

٢ _ تسلط آل فرعون في زمن موسى (ع) وفي زمن الحسين (ع) تسلط آل أميّة، وهم عصابة حكموا البلاد وليس شخصاً واحداً، يقول القرآن في قصة موسى (ع): [فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا][٢] عهد موسى (ع) كان يشهد تسلط آل فرعون وليس فرعون وحده، وفي عهد الحسين (ع) كان آل أميّة هم المتسلطون على رقاب الناس.

٣ _ موسى (ع) أُرسل إلى فرعون للقيام بعملية تغيير [اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ] والحسين (ع) كذلك قام بعملية تغيير ومحاولة لاسقاط السلطة الأموية.

إن الهدف هو تغيير السلطة السياسية أو تصحيح مواقفها كما كانت هي مسؤولية

(١) أنظر: اللهوف: ٥٣؛ لواعج الأشجان: ١٠٧...
(٢) القصص: ٨.

موسى (ع) تجاه فرعون [فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى].

٤ _ عشر سنوات قضاها موسى (ع) مع شُعيب في مدين و كان صهراً لـ شعيب (ع) وخادماً عنده [عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ][١] والحِجَج جَمع حِجَّة وهي تعني السنة. و هو خلال هذه الفترة لم يقم بثورة ولم يكن مبعوثاً ونبياً بعد، بل أنه عندما عاد من مدين إلى مصر في الطريق اختاره الله نبياً وكلَّمهُ تكليماً وأمره أن يذهب إلى فرعون، والحسين (ع) أيضاً بقي عشر سنوات بعد شهادة الإمام الحسن (ع) ولم يقم بثورة خلالها و خلال حكم معاوية إلى أن جاء يزيد فقام الإمام الحسين (ع) بحركة ثورية.

٥ _ سبعون رجلاً هم أصحاب موسى (ع) [وَاخْتارَ مُوسى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقاتِنا][٢] وهم نخبة انتخبهم موسى (ع) لكي يأتون للميقات أي اللقاء مع الله تبارك وتعالى و نزول

(١) القصص: ٢٧.
(٢) الأعراف: ١٥٦.

التوراة، وأصحاب الإمام الحسين (ع) أيضاً كانوا سبعين رجلاً.

٦ _ موسى (ع) قال: أنا أريد من هو أفصح مني لساناً وهو هارون (ع)، الله تبارك وتعالى قال: [سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ][١] في كربلاء لدينا الحسين (ع) وأخوه العبّاس لاسناد حركة الحسين (ع) و هو نفس الاسناد بين رسول الله (ص) وبين أمير المؤمنين (ع) في الحديث المعروف: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[٢] والعبّاس أيضاً هو إسناد للحسين (ع) في كربلاء.

٧ _ موسى (ع) يزرع روح المواجهة مع فرعون أي انه يغذي الأمّة بروح التحدي والمواجهة، والحسين (ع) أيضاً كان أحد آليات حركته هو تغذية الأمّة بروح المواجهة في قوله: «إني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً، ليرغب المؤمن في لقاء الله ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة

(١) القصص: ٣٥.
(٢) الهداية: ١٥٨.

والذلة وهيهات منا الذلة»[١] أي أن هناك تعبئة روحية وزرع روح التحدي والمواجهة مع الظالمين.

٨ _ الحوار بدل العنف. موسى (ع) لما خرج من قصر فرعون وجاء إلى المدينة على حين غفلةٍ من أهلها ووجد اثنين يتخاصمان أحدهما من شيعته والآخر من الاقباط فاستغاثه الذي من شيعته وكان موسى (ع) _ وكما يتفق عليه التاريخ _ رجلاً قوياً شديد البأس فوكزه فقضى عليه واكتشف الاقباط ان هناك حركة سياسية ضد فرعون وهم لا يعلمون من يقودها، وفي اليوم التالي نزل موسى (ع) إلى المدينة ليتفقد الضعفاء فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه، فقال له موسى (ع): [إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ][٢] أي إن سياسية موسى (ع) لا تعتمد على العنف بل على الحوار. ولهذا القرآن الكريم يقول في المرة

(١) مثير الأحزان: ٤٠.
(٢) القصص: ١٨.

الأولى: [قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ][١] وفي المرة الثانية همّ إليه وأراد أن يقتله فالتفت إليه الذي من شيعته وقال: [إِلاَّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَما تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ][٢] أي نبهه فالأنبياء (ع) ليست طريقتهم العنف فانسحب موسى (ع) واستغفر ربه وهذا تأكيد على أن الدعوة يجب أن تكون باتباع سياسة الحوار بدل العنف.

الحسين (ع) حينما قطع عليه الطريق الحر بن يزيد الرياحي، قال زهير بن اليقين: يا أبا عبد الله إن مقاتلة الحر وأصحابه أهون علينا من قتال من سيأتي بعدهم.

قال الحسين: «أكره أن أبدأهم بقتال».[٣]

فحركة الحسين (ع) ليست حركة عنف

(١) القصص: ١٥.
(٢) القصص: ١٩.
(٣) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١١٦؛ لواعج الأشجان: ١٢٣.

وشدة ولكنهم إذا اعتدوا عليه سوف يرد عليهم.

مرة أخرى نجد ذلك في يوم عاشوراء حين طلبوا من الحسين (ع) بأن يرموا الشمر بالسهام قال الحسين (ع): «أكره أن أبدأهم بقتال» فهو يطلب الحوار بدل العنف.

٩ _ هجرة موسى (ع) من مصر إلى مدين وكذلك الحسين (ع) هاجر أيضاً من المدينة إلى مكّة ومن مكّة إلى العراق، هذه ثقافة الهجرة فالإمام الحسين (ع) حينما خرج من المدينة قرأ: [فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ][1] ولهذا فإن شاعر الحسين (ع) يقول:

خرج الحسين من كخروج موسى
لم يَدر أين يريح فكأنما المأوى

ولما خرج الحسين (ع) من المدينة المنورة قرأ: [وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ]. [2]

١٠ _ المعايشة مع الضعفاء،

(١) القصص: ٢١.
(٢) القصص: ٢٢.

فأصحاب الحسين كان معظمهم من الطبقة الضعيفة. فهو لم يصطفِ أصحاب الجاه والثروة، بل كانت حركة مفتوحة فيها الوجوه الكبيرة مثل بُرير والحر وما شاكل وفيها طبقة محرومة ومستضعفة وعبيد، مثل شوذب العبد مولى شاكر بن عبد الله الشاكري، وآخر اسمه جون وهو عبد لدى أبي ذر الغفاري، والحسين (ع) يحتضن كل هذه الطبقة الضعيفة.

الحسين (ع) في كربلاء:

الحسين (ع) لما وصل كربلاء في اليوم الثاني من محرم الحرام كتب رسالة إلى أخيه محمّد بن الحنفية: «أما بعد فكأن الدنيا لم تكن وكأن الآخرة لم تزل والسلام»[1] أي أنه بوصوله إلى كربلاء كأن صفحة الدنيا لم تكن أصلاً وصفحة الآخرة لم تزل موجودة من اليوم الأوّل.

الحسين (ع) كان يفتح أمام أصحابه طريق الانسحاب ولا يعرف التاريخ أن ثائراً وقائداً يرخّص جيشه ويقول لهم: اتركوني

(١) البحار ٤٥: ٨٧/ ح ٢٣.

وحدي إلاّ الحسين (ع)، لأنه لم يكن يهدف لتحقيق نصر عسكري، بل كان يهدف إلى خلق الإرادة لدى الأمّة على التغيير وهذا لا يحتاج إلى عدد، فكان يقول لأصحابه وفي أكثر من مرة: «إن القوم إنما يطلبونني. ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري».[١]

الرواية تقول: إن هذا الحديث استمر إلى اليوم السابع من المحرم حيث كان مع الحسين (ع) مجموعات كبيرة وصلوا إلى كربلاء وتقول سكينة في رواية: «لما رّخصهم الحسين (ع) كنت أرى خمسة خمسة وعشرة عشرة من أصحاب أبي ينسحبون عنه، إلى أن بقي منهم من بقي سبعون فقط»[٢] أما في ليلة العاشر من محرم الحرام، يقول نافع بن هلال: وجدت الحسين (ع) خارج الخيام، فخرجت أثره وإذا به يلتفت إليّ ويقول: أنافع هذا؟

قلت: نعم سيدي أنا نافع.

---

(١) البحار ٤٤: ٣١٦.

(٢) كلمات الإمام الحسين X: ٣٩٩.

قال (ع): «ما الذي أتى بك؟».

قلت: سيدي خشيةً عليك وجئت أحرسك.

الحسين (ع) قال له: «يا نافع ألا تسلك بين هذين الجبلين إن القوم لا يطلبون غيري؟»[١] فالحسين هنا لا يريد أفراداً بل يريد قلوباً عاشقة وشخصيات ترسم درساً للتاريخ، فوقع نافع على قدميه يقبلهما.

وهو يقول: سيدي إن فرسي بألف وسيفي بألف فو الله لا أفارقك حتّى يكلّ من فري وجري.[٢]

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(١) كلمات الإمام الحسين X: ٤٠٦.

(٢) أنظر: المجالس الفاخرة: ٢٣١؛ كلمات الإمام الحسين X: ٤٠٦.

(٦ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الخامسة:

معالم الحركة الاصلاحية عند موسى (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا] .[1]

قال إمامنا الحسين (ع): **«ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت ونفوس أبية وأنوف حمية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا واني زاحفٌ بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر».**[2]

الحديث ما زال عن الحركة الاصلاحية ابتداءاً من الأنبياء (ع) وحتّى نصل إلى الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام.

وما زال الحديث عن موسى (ع)

---

(١) مريم: ٥١ و٥٢.

(٢) مثير الأحزان: ٤٠.

وقد نا إن مو سى (ع) حـ مل مـ شروع تـأ سيس الحكم الديني. ولم يكن في مظهر العـ مل يحـ مل هذا المـ شروع. لا إ براهيم ولا نوح H. كانت بداية مشروع تأسيس الحكم الديني قد ظهرت على عهد موسى (ع) حتّى تطور الأمر في زمن عيسى (ع) وتطور الأمر أكثر حتّى أصبح نبينا (ص) يبشر بالدولة العالمية والحكم العالمي وهذا تطور. موسى (ع) بشر قومه بالدولة في فلسطين. عيسى (ع) كان له رسل إلى أنطاكية وإلى ايران، وهي بدايات التحرك نحو الحاكميّة الدينية العالمية، جاء نبينا (ص) وأسس الدولة الدينية ذات الأفق العالمي بحيث أرسل إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم، حيث أن العالم يومئذٍ كانت فيه امبراطوريتان، ورسول الله (ص) كان يتجه باتجاه الدولة الإسلاميّة الدينية العالمية ونحن اليوم نعيش أجواء العالمية والعولمة.

حديثنا ما زال عن موسى (ع) وتجربته الاصلاحية بالمقارنة مع الإمام الحسين (ع). وقلت في حديثٍ سابق: إن الإمام الحسين (ع) كان في أكثر من مقطع يستشهد بمقولات موسى (ع) كقوله: [فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ][1] هذه الكلمات لموسى (ع) والإمام الحسين (ع) عند خروجه من المدينة كان يتحدّث بها، وكذلك عند خروجه من مكّة يقرأ قوله تعالى: [وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ][2] وهكذا حينما تكلَّم معه جماعة ونصحوه أن لا يذهب إلى العراق فقال (ع) مُذكراً أيضاً بتجربة موسى (ع) واليهود ومشيراً إلى يزيد وبني أمية: «أنهم لن يدعوني حتّى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي ويرتكبوا مني ما ارتكب اليهود يوم السبت» وقد أشرنا سابقاً إلى عشر نقاط تشابه بين تجربة موسى وتجربة الحسين H، واليوم نستمر في حديثنا.

---

(١) القصص: ٢١.

(٢) القصص: ٢٢.

عمر التجربة:

كان عمر التجربة التي خاضها موسى (ع) مائتين وأربعين سنة وهي تقريباً عمر تجربة أئمّتنا من الإمام عليّ (ع) وإلى الإمام المنتظر (ع) الذي ولد في سنة مائتين وخمسين للهجرة، فعمر تجربة الأئمّة كلهم هي مائتان وخمس وخمسون سنة، وموسى وحده كان عمر تجربته مائتين وأربعين سنة، وسوف نرى أن أئمّتنا كانوا يعمدون إلى ملء الفراغات، كما كان موسى (ع) يملؤ الفراغات، وكما تعلمون أن موسى (ع) هو ثالث الأنبياء أولي العزم، وهم أصحاب العزائم والشرائع أي أصحاب القوانين، أي أن لديهم قانوناً أساسياً كما نصطلح عليه اليوم.

المعنى اللغوي لأولي العزم هو أصحاب الشكيمة والإرادة القوية.

قال تعالى: [وَلَقَدْ عَهِدْنا إلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً][1] أي أن آدم (ع) لم يكن لديه العزم

(١) طه: ١١٥.

الكافي لتحمل أعباء الرسالة الإلهية، هو نبي لكن مرتبة الرسول أعظم وهذه قضية تحتاج إلى شرح، كما أن مرتبة الإمامة أعظم من مرتبة النبوة، فبعض الرسل كان نبياً ورسولاً ولكنهم لم يصبحوا أئمّة، الإمامة هي مرتبة أعظم وتعني القيادة الميدانية في أحد معانيها، ولهذا يقول الله تعالى لإبراهيم (ع) بعدما كان نبياً وكان رسولاً: [إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً][1] أي انك سوف تتطور من نبيٍّ ثمّ رسولَ ثمّ تصبح إمام أمّة كاملة.

شرائط الحركة الإصلاحية:

الحركة الاصلاحية التغييرية تحتاج لنجاحها إلى ثلاثة أمور:

الأمر الأوّل: المبدأ الصالح.

الأمر الثاني: القيادة الصالحة.

الأمر الثالث: الأمّة الصالحة.

أي أننا نحتاج مبدأ وقائداً وشعباً، فقد يكون لدينا مبدأ لكن ليس لدينا

(١) البقرة: ١٢٤.

قائد فلن ننتصر، وإذا توفر المبدأ والقائد ولا توجد أمّة صالحة فلن ننتصر أيضاً.

أمير المؤمنين (ع) كان قائداً صالحاً، ومبدأ الإسلام هو مبدأ صالح لكن الإمام لم يكن لديه أمّة صالحة ولهذا لم يستطع أمير المؤمنين (ع) أن يحقق ما يصبو إليه، موسى (ع) كان لديه مبدأ صالح وهو شريعة التوراة وهو كتاب منزل من عند الله تعالى: [إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْراةَ فِيها هُدىً وَنُورٌ][١] وهذا هو الشرط الأوّل وهو متوفر لدى موسى (ع)، والشرط الثاني وهو القيادة الصالحة متوفر أيضاً، فموسى (ع) قائد صالح فهو نبي ورسول، قال تعالى: [وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا]،[٢] [إِنَّهُ كانَ مُخْلَصاً وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا]،[٣] [وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً][٤] لكن حركة موسى (ع) كانت تفتقد الشرط الثالث للنجاح وهو الأمّة الصالحة.

---

(١) المائدة: ٤٤.
(٢) مريم: ٥٢.
(٣) مريم: ٥١.
(٤) النساء: ١٦٤.

تكامل الأنبياء (ع):

هنا سؤال: هل أن تجربة النبي التغييرية تعطيه تكاملاً ومزيداً من الخبرة في الشأن السياسي أو حتّى الشأن الشخصي الذاتي أم لا؟ أي أن النبي منذ يوم ولد وإلى أن يموت هل انه في نفس المستوى أم انه يتكامل في معارفه وتجربته؟

قد يتصور البعض ويقول إن النبي معصوم منذ يوم خلقه الله وسواء عاش خمسين أو ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، فإن ادراكاته ومعلوماته وقدراته هي نفسها منذ ولدته أمّه، و هذا التصور خطأ طبعاً، فصحيح أن النبي معصوم لكنه بشر، والتجربة الدينية بالنسبة له وعبر الوحي والتسديد الإلهي لا شك انها تعطيه المزيد من الكمال.

نبي الله نوح (ع) بعد ألف سنة من التجربة يختلف عما كان عليه قبل ذلك، حيث مرَّ بتجارب كثيرة مُدعمة بالوحي والتعليم الإلهي والمواعظ الإلهية من الله

تعالى، وهكذا نبينا (ص) فهو خاتم الرسل وسيد الخلق لكنه أحياناً كان يطلب من جبرئيل الموعظة ويقول له: يا جبرئيل عِظني، فهو يحتاج إلى الوعظ والتسديد، فالنبي المعصوم يحتاج دائماً إلى الوحي والتسديد وهناك أمور هي من علم الله تبارك وتعالى لا يعرفها النبي فيعلمها له الله تعالى بمرور السنين، قال تعالى: [وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي][1] إذن هذا تعليم من الله تعالى، [وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً][2] أي أنه لا يمكن في أوّل يوم ولدته أمّه ان يمتلك المعلومات التي يمتلكها بعد ستين سنة مثلاً.

موسى (ع) وبناءاً على هذه النظرية (نظرية تكامل حركة الأنبياء) قد مرّ بعملية تكامل. فهو قد بقي ثلاثين سنة في مصر فرعون وصار شاباً قوي الساعدين وشديد الإرادة، ولم يكن خلالها نبياً، وانتقل من مصر إلى مدين وبقي عشر سنوات يخدم في دار شعيب وبعد ذلك _ أي بعد

(١) الإسراء: ٨٥.
(٢) الكهف: ٦٥.

أربعين سنة _ حينما خرج إلى الصحراء [قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً][١] حينئذٍ بعثه الله تعالى نبياً: [يَا مُوسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ][٢] هذه الأربعون سنة كانت بمثابة دورة تأهيل لموسى (ع) وهذا لا يتنافى طبعاً مع العصمة، ولهذا فإن موسى (ع) كان يعترف بأنه في تجربته السياسية والدينية كان يتكامل ويتطور، ويقول ربما ارتكبت بعض الأعمال التي كان من المفروض ألاّ أرتكبها _ ليس بمعنى انها حرام بل بمعنى انه يحتاج إلى مزيد من المرونة في الأساليب ليتحول إلى نبي عالمي _ كما في قصة القبطي والإسرائيلي في مصر حين تخاصما، وقتل موسى (ع) القبطي وحينها أدرك موسى (ع) بأن هذا العمل كان خطأ [قالَ هذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ]،[٣] [قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي][٤] مع أن ذلك الشخص الذي قتله موسى (ع) كان كافراً ومعتدياً، لكن موسى

(١) طه: ١٠.
(٢) النمل: ٩.
(٣) القصص: ١٥.
(٤) القصص: ١٦.

(ع) كان يحتاج إلى الابتعاد عن مثل هذه الاثارات التي لا يتحملها الظرف السياسي، بالرغم من أن موسى (ع) لم يكن حينها نبياً لكن يبدو أنه كان لديه حركة سياسية سرية مع بني إسرائيل، ولمّا انكشفت هذه الحركة السرية جاء شخص من أصحاب موسى (ع) [قالَ يا مُوسى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ][١] الروايات تقول إن موسى (ع) لم يرجع إلى البيت ليأخذ معه طعاماً أو ما شاكل ذلك، بل هاجر إلى مدين فوراً،[٢] وبعض الروايات تقول: إنه لم يكن يرتدي الحذاء فتقشر جلد قدميه من المشي حافياً.

و في مدخل مديَن وجد مجموعة من الرعاة متجمعين يسقون من البئر وكانت امرأتان واقفتين في جهة تريدان أن تسقيا من البئر ولا تستطيعان فسألهما موسى (ع): ما خطبكما؟

---

(١) القصص: ٢٠.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ١٥٠.

قالتا: لا نسقي حتّى يُصدر الرعاءُ.

موسى (ع) كان شديداً وقوياً فأبعد من كان حول البئر وسقى لهما [قالَتا لا نَسْقِي حتّى يُصْدِرَ الرِّعاءُ وَأَبُونا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقى لَهُما ثمّ تَوَلّى إلى الظِّلِّ فَقالَ رَبِّ إنّي لِما أَنْزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ][١] لقد كانت تجربةَ العَمَل السري انطلاقاً من قصر فرعون ثمّ الهجرة هي بمثابة دورة تأهيل لموسى (ع)، وحينئذٍ وبعدما قطع موسى هذه التجربة التربوية العظيمة مع الله اتخذه الله كليماً.

لمحات من شخصية موسى (ع):

هناك رواية تقول في الدلالة على تكامل موسى الكليم أن الله تعالى قال: يا موسى أتدري لمَ اتخذتك كليماً؟

قال (ع): إلهي لا.

قال: لأني لم أجد في الأرض من هو أشد تواضعاً منك.[٢]

ومرة أخرى قال له الله تعالى: يا موسى اشكرني حق شكري.

---

(١) القصص: ٢٣ و٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٥٩: ٢٦٨.

قال موسى (ع): إلهي أنا لا أستطيع أن أشكرك حق شكرك لأني كلما شكرتك فهذا منك.

قال: يا موسى هذا هو حق شكري، أي أن تعترف بأنك غير قادر على أداء الشكر.[١]

ورغم أن موسى (ع) قد تكامل خلال الهجرة لكن بعض الروايات تقول إن الله لمّا اتخذه كليماً حدّثته نفسه بأن الله إنما اتخذه كليماً لأنه لا يوجد في الأرض من هو أعلم منه، فأوحى الله إلى موسى (ع) أن هناك عبداً من عبادنا آتيناه علماً فاذهب وتعلَّم منه. وكان موعد اللقاء هو مجمع البحرين أي ملتقى النهرين، ولما مضى موسى (ع) ويوشع وقطعوا مسافة [قالَ لِفَتاهُ _ وهو يوشع _ آتِنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَفَرِنا هذا نَصَباً][٢] فقال يوشع: [أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً][٣] الروايات تقول إن الحوت

(١) الكافي ٢: ٩٨.
(٢) الكهف: ٦٢.
(٣) الكهف: ٦٣.

وهو السمكة كان ميتاً وممدحاً وروايات أخرى تقول إن السمكة كانت حيّة فسقطت في الماء وذهبت،[١] على كل الأحوال موسى (ع) قال: هذه هي العلامة بيني وبين الله فمتى ما ذهبت السمكة في الماء فأنا أذهب لذلك المكان وألتقي بأستاذي فرجع والتقى بعبدٍ [آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً].[٢]

الروايات تسميه (الخضر) وسمي كذلك حسب ما تقول بعض الروايات، لأنه كان لا يجلس على جذع يابس إلاّ واخضر ولا على أرض جافة إلاّ واخضرت، أي انه إنسان مبارك،[٣] فدخل معه موسى (ع) دورة تعليم عدة أيام.

مشكلة الأمّة:

كان موسى (ع) قائداً صالحاً والتوراة مبدأ صالح، فأين المشكلة؟

ولماذا لم ينتصر قوم موسى (ع)؟

المشكلة هي أن الشرط الثالث

---

(١) الميزان ١٣: ٣٣٩.

(٢) الكهف: ٦٥.

(٣) أنظر: علل الشرائع ١: ٥٩/ باب ٥٤/ ح ١.

للنجاح غير متوفر وهو الأمّة الصالحة. وبنو إسرائيل أمّة غير صالحة.

لقد انتخب موسى (ع) منهم سبعين رجلاً من علمائهم وذلك لكي يذهبوا للتعبد على الجبل ولكنهم لم ينجحوا في التجربة، فقال موسى (ع): [رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ]. (١) إذن أمّته وهم بنو إسرائيل هي أمّة غير صالحة، ولهذا فإن بني إسرائيل لم يدخلوا فلسطين ولم يسمعوا كلام موسى (ع)، ومات موسى وهارون H في التيه الذي استمر أربعين سنة، وبعد مدة دخل اليهود فلسطين وذلك في عهد يوشع وصي موسى (ع).

اليهود في فلسطين:

الروايات تقول إنهم لما دخلوا فلسطين بقوا ثلاثمائة وستة وخمسين سنة ولم يؤسسوا دولة ولم يكن لديهم ملك، وإنما تأسست الدولة في عهد داوود أي بعد أربعمائة سنة من موسى (ع) لكن هذه

(١) المائدة: ٢٥.

الدولة هي دولة استثنائية وبدون أمّة صالحة، فإن داوود لم ينتصر بالأمّة الصالحة وإنما انتصر بالجن والطير والرياح والجبال، وهذا بحث آخر قد نتناوله في موضع آخر.

قرأت في تقرير أن الولايات المتحدة الأمريكية والشعب الأمريكي، حسب ما تخطط له الإدارات الكبرى يفترضون انهم هم الأمّة التي بلغت قمة الحضارة وتريد أن تصبح هي الأمّة المصلحة للعالم وهذه هي العولمة الأمريكية.

نحن في فهمنا أنه لا يمكن لأمّة غير صالحة أن تقود العالم، ربّما تغلب كما غلب فرعون، لكن هداية العالم تحتاج إلى أمّة صالحة.

القرآن يقول إن الأمّة الصالحة التي تهدي العالم هي أمّة الإسلام [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً][1] أما الأمّة الأمريكية فأقرأ لكم تقريراً لطيفاً حسب ما نشرته بعض

(١) البقرة: ١٤٣.

الصحف:

قال المسؤول عن قطاع تنظيم الجنائز في ضاحية مدينة شيكاغو: إن ثمة طلباً متزايداً من الناس لدفنهم مع حيواناتهم المدللة في مدافن عائلاتهم.

ثمّ يستمر التقرير ويقول عادةً ما تدفن الحيوانات الأليفة في مدافن مخصصة لها، وتم على هذا الأساس تخصيص موقع مساحته أربعون فداناً لدفن الحيوانات مع أصحابها في مدافن (ايدن بارك) في متنزه (تشيلر) في ولاية (أنيدنا) وعشرون فداناً في مدافن (بانيفيو) في متنزه (بيجبارك) ثمّ يتحدث التقرير عن كيفية الدفن ويقول:

الطريقة التي اختاروها _ وهذه هي قمة الحضارات _ أنهم يدفنون الحيوانات على عمق سبعة أقدام ونصف في حين يدفن أصحابها عندما يموتون

فوقها أي على عمق ستة أقدام.[١]

عندما قرأت هذا التقرير قلت: سبحان الله هؤلاء يفكرون أن يقودوا العالم بهذه الحضارة، صحيح أنهم يملكون قوة، لكنهم لا يملكون حضارة متقدمة كما يملكها الإسلام والأديان الإلهية.

إن أحد شروط انتصار الحركة الاصلاحية العالمية هو وجود الأمّة الصالحة ذات الثقافة الصالحة.

الخطاب السياسي للحسين (ع):

الإمام الحسين (ع) كان عنده المبدأ الصالح وهو القرآن والإسلام، والقائد الصالح موجود وهو الحسين (ع)، لكن النقص الموجود هو الأمّة الصالحة، ولقد كان جهد الحسين (ع) وجهد الأئمّة (ع) من بعده في تجربة عمرها مائتان وخمسون سنة هو التثقيف

(١) جريدة الصباح الجديد: العدد ٥٠٨/ ٢ شباط ٢٠٠٦.

السياسي والتثقيف الديني لتحقيق الأمّة الصالحة.

الحسين (ع) عنده حوالي خمسين خطاباً سياسياً، وسوف أقرأ لكم شيئاً من التثقيف السياسي الذي زرَّقه الإمام في الأمّة حتّى وصلنا إلى يومنا هذا. فالقدرة التي يمتلكها شيعة أهل البيت والاعتصام السياسي والوعي السياسي لم يأت بالمجان وإنما كان نتيجة التثقيف السياسي الذي غرسه الإمام الحسين (ع) في الأمّة.

يبدو أن الحسين (ع) مثلما كان موسى (ع) يعمل لمدة ثلاثين سنة حتّى انكشف أمره عند فرعون، وعندها هاجر موسى (ع). الإمام الحسين (ع) عمل عشر سنوات بعد الإمام الحسن (ع) في التثقيف السياسي حتّى قيل لمعاوية: يا معاوية إن الناس مرتبطة بالحسين فاحذر منه، وأخرجه من مكّة والمدينة إلى الشام هذا ما اقترحه مروان والي معاوية في المدينة.

مجموعة أخرى قالوا لمعاوية: يا

معاوية إن أنظار الناس متجهة نحو الحسين فاسمح له أن يصعد المنبر ويخطب في الناس فلننظر ما عنده، ونتيجة الضغط الشعبي الكبير سمح معاوية للحسين (ع) بأن يخطب.

الإمام الحسين (ع) حينما خطب قال: «نحن حزب الله الغالبون، وعترة رسول الله (ص) الأقربون، وأهل بيته الطيبون، وأحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله (ص) ثاني كتاب الله... فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضة»[1] كان هذا تثقيفاً سياسياً ومثل هذه الخُطَب لدينا الكثير وموجودة في المصادر.

مؤتمر مكّة:

الإمام الحسين (ع) دعا إلى مؤتمر في مكّة المكرمة فقال: لا يوجد من أصحاب رسول الله (ص) في الحج أحد إلاّ أن تدعوه ومن الصحابة التابعين، فاجتمع عند الحسين (ع) سبعمائة صحابي

(١) الاحتجاج ٢: ٢٢.

وتابعي فقال لهم الإمام الحسين (ع):

«سأحدثكم بأحاديث فإن صدقت فصدقوني وإن كذبت فكذبوني»، ثمّ بدأ الحسين (ع) بذكر ما جاء عن رسول الله (ص) في فضل الحسن والحسين H وهم يقولون: صدقت ونحن نشهد بأنا سمعنا ذلك من رسول الله (ص).

فقال: «إذا كنتم سمعتموه فبلغوه لكل المسلمين كي لا ينسوه».[1]

هذا هو التثقيف السياسي وهو في مكّة المكرمة وقبل أن يتحرك في الثورة والهجرة إلى العراق وكربلاء.

قصة الأعرابي:

قصة الأعرابي الفقير الذي جاء إلى المدينة المنورة فقال: من أكرم الناس في المدينة؟

قالوا له: أين أنت عن الحسين بن عليّ H؟

فجاء إلى الحسين (ع) وقال: يا أبا عبد الله أنا عرفت أنك أكرم أهل

(١) أنظر: الاحتجاج ٢: ١٩.

المدينة وأنا محتاج.

الإمام الحسين (ع) هنا يريد أن يستفيد من الفرصة في عملية التثقيف الديني وليس مجرد الكرم.

قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «المعروف على قدر المعرفة» _ أي أنه ربط العطاء والكرم بالثقافة _.

قال الأعرابي: سل يا بن رسول الله فإذا عرفت الجواب أجبتك وإذا لم أعرف فأني أتعلم منك.

قال له، المسألة الأولى: أي الأعمال أفضل؟

قال الأعرابي: الإيمان بالله.

الإمام قال له: أحسنت.

ثمّ قال له، المسألة الثانية: ما النجاة من الهلكة؟

أطرق الأعرابي برأسه والتفت وقال: يا أبا عبد الله النجاة عند الشدة التوكل على الله.

الإمام قال: أحسنت.

ثمّ قال الثالثة: ما زينة المرء؟

الأعرابي قال: يا بن رسول الله زينة المرء علمٌ معه حلم.

الإمام الحسين (ع) قال: أحسنت، وإذا افترضنا أنه ليس لديه علم ماذا يعمل؟

قال: يا بن رسول الله إذن يجب أن يكون لديه مال مع كرم.

الإمام قال: إذا افترضنا أنه ليس لديه علم ولا مال.

الأعرابي قال: فقرٌ معه صبر.

الإمام الحسين (ع) قال: إذا افترضنا أن ليس لديه لا علم ولا مال ولا صبر.

قال الأعرابي: يا أبا عبد الله إذا كان ليس لديه علم وليس لديه مال وليس لديه صبر فماذا يفعل بالحياة فلتنزل صاعقة عليه من السماء فتهلكه. فضحك الإمام الحسين (ع) وقال: خذ كل ما تريده.[1]

---

(١) نهج السعادة ٨: ٢٨٦.

إذن الإمام الحسين (ع) يوظف عملية الكرم في التثقيف الديني، وهكذا نحن نحتاج إلى تثقيف سياسي وإلى تثقيف ديني.

مسلم بن عقيل (ع):

مسلم بن عقيل (ع) كان رسولاً لاستطلاع الموقف السياسي لدى أهل الكوفة. وقد كتب الإمام الحسين (ع) رسالة لأهل الكوفة يقول فيها: «أما بعد... وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل. فإن كتب إليّ أنه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجا والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم، وقرأته في كتبكم أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله»[1] وبايع مسلم (ع) ثمانية عشر ألف شخص لكن مشكلة هذه الأمّة انها لم تبلغ بعدُ مستوى النضج السياسي وامتلاك الإرادة الحرّة.

(١) أعلام الورى ١: ٤٣٦.

مسلم بن عقيل (ع) بايعه ثمانية عشر ألف لكن بدون ثقافة ولا إرادة سياسية ولما قيل لهم ما لكم والدخول بين السلاطين تفرقوا، ولما أمسى المساء وبعد أن صلى مسلم بن عقيل صلاة العشاء في مسجد الكوفة خرج وإذا لا أحد يدلّه على الطريق.[١]

بكتك دما يا بن مدامع شيعتك
ولا برحت هاطلات تحييك غاديةً
لأنك لم ترو من ثناياك فيها
رموك من القصر فما سلمت فيك
وسحباً تُجرُّ ألستَ أميرَهمُ

الحسين (ع) في الطريق إلى العراق وصله خبر مقتل مسلم بن عقيل (ع)، يقول المؤرخون أنه دعا حميدة بنت مسلم (ع) وسالت الدموع لخبر مقتل مسلم (ع) كل مسيل فأجلسها في حجره وقال لها: بنية أنا أبوكِ و هؤلاء أعمامك.

إنا لله وإنا إليه راجعون

(١) أنظر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ٤١ - ٤٥.

* * *

(٧ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة السادسة:

مقارنة بين عيسى والحسين H

بسم الله الرحمن الرحيم

الحديث ما زال متصلاً عن الحركة الاصلاحية لدى الأنبياء (ع) مقارنةً بحركة الإمام الحسين (ع)، وفي ليالٍ سابقة تحدّثنا عن الحركة الاصلاحية لدى نوح (ع)، ثمّ تحدّثنا عن حركة إبراهيم (ع) خليل الرحمن، ثمّ تحدّثنا عن حركة موسى (ع) كليم الله ومعالم حركتهم ومقارنتها بحركة الإمام الحسين (ع) وأهدافها.

حركة عيسى بن مريم (ع):

الليلة حديثنا عن الحركة الاصلاحية التي قادها روح الله عيسى بن مريم H.

عيسى بن مريم H هو النبي الرسول الرابع من أولي العزم، وهم: نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ثمّ نبينا (ص)، هؤلاء النجوم الخمسة في سماء النبوة،

القرآن الكريم يشيد بذكر عيسى بن مريم (ع) في العديد من الآيات.

عيسى بن مريم H اليوم يؤمن به مليارات من الناس باعتباره شخصية مقدسة هو وأمّه مريم ابنة عمران (ع)، ويظهرون الاتباع لهم، نحن المسلمون أيضاً نعتقد بقدسية عيسى (ع) وصحة دينه، إذن هذا إنسان له اشعاعات في تاريخ البشرية ممتدة إلى يومنا.

نقطة الامتياز عند عيسى (ع) أنه كان روح الله، بينما كان إبراهيم خليل الله، وكان موسى كليم الله، أما عيسى فهو روح الله، عيسى (ع) ليس له أب، أي: إن أمه مريم ابنة عمران (ع) ليس لها زوج، وإنما نفخ الله فيها من روحه فكان عيسى (ع)، وهو كلمة الله ألقاها إلى مريم (ع).

لاحظوا تعظيم القرآن وتقديسه لهذا الإنسان حينما يقول: [وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ]. (١)

الفاصلة الزمنية بين موسى (ع) وبين

---

(١) النساء: ١٧١.

عيسى بن مريم H هي ألف وسبعمائة سنة،[١] وقيل: ألف وتسعمائة سنة،[٢] وقيل: ألفا سنة،[٣] وقيل غير ذلك، موسى وهارون H ماتا في التيه في صحراء سيناء ولم يصلوا بعد إلى فلسطين ولم يشكلوا الدولة الدينيّة في فلسطين، وإنما شكلت بعد أكثر من ٣٥٠ سنة وكان بنو إسرائيل يعيشون في فلسطين بدون دولة، وفيما بعد سألوا الله تعالى أن يجعل لهم ملكاً[٤] واستجاب الله تعالى لهم وجعل لهم طالوت ملكاً حيث صارت الدولة، ثمّ داوود (ع) ثمّ سليمان (ع) ثمّ إن هذه الدولة انتهت حينما مات سليمان (ع) لأنها كانت حالة استثنائية غير طبيعيّة، دولة قائمة على أساس التنفس الاصطناعي، لأن داوود وسليمان H يعتمدان على جنود من الجن والطير والملائكة والرياح والجبال، أما

(١) تفسير جوامع الجامع ١: ٤٨٧.
(٢) فتح القدير ٢: ٣٦.
(٣) فتح القدير ١: ٣٤٩.
(٤) [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ]، البقرة: ٢٤٦.

الناس فليسوا جنوداً وهم بنو إسرائيل الذين قالوا لنبيّهم [فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا][١] فأنزل الله تعالى الجن والملائكة والحجارة والمياه والرياح تسبح لداوود وسليمان H لكي يؤسس أعظم دولة بدون إسناد بشري، وهذا أمر على خلاف القاعدة الإلهيّة، ولهذا فإنه بمجرد أن مات سليمان (ع) انتهت الدولة العبرية، لأن انتصار الحركة التغييرية وقيام دولة صالحة يحتاج إلى مبدأ وقيادة صالحة وشعب صالح. حسب ما ذكرناه في محاضرة سابقة، فإذا كان الشعب غير صالح فلا يمكن تأسيس الدولة الصالحة، وبنو إسرائيل كانوا شعباً غير صالح بعد أن فضّلهم الله تعالى على العالمين [اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعالَمِينَ][٢] ولكنهم لم يعرفوا استحقاق هذا التفضيل، ولذا قال الله تعالى فيهم: [لَقَدْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَأَرْسَلْنا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّما جاءَهُمْ رَسُولٌ بِما لا تَهْوى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ * وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا

(١) المائدة: ٢٤.
(٢) البقرة: ٤٧.

كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعْمَلُونَ]. (١)

لقد بعث الله بعد موسى (ع) مجموعة أنبياء، وهم: داوود وسليمان وأيّوب ويونس (ع) خلال ألف وقرون من السنين حتّى بُعث عيسى بن مريم H الذي ولد في فلسطين، وبُعث بهدف تصحيح أمّة بني إسرائيل، أي إن عيسى بن مريم H قام بحركة تصحيحية داخلية في داخل البيت الإسرائيلي الذي يمثل الأمّة الدينية آنذاك، لكنهم انحرفوا.

عيسى بن مريم H وهو في المهد قال: [إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتانِيَ الْكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا] (٢) وأنا لست بصدد الحديث عن تفاصيل شخصية عيسى (ع) ومعجزاته، لأن حديثنا فقط عن الحركة الاصلاحية، ولكي نقارنها بحركة الحسين (ع)، عيسى (ع) كان ابن خالته نبياً أيضاً وهو يحيى (ع)، وكان قبل عيسى (ع) وكان يبشر بعيسى (ع)، وكان يقول: «اني صرخة الله في البادية»،

(١) المائدة: ٧٠ و٧١.
(٢) مريم: ٣٠.

وبعد ثلاثين سنة من عمره بُعث عيسى (ع) بالرسالة والنبوة بهدف أن يخوض عملاً تصحيحياً.

عيسى (ع) كان آخر أنبياء بني إسرائيل. بنو إسرائيل قتلوا كل الأنبياء الذين بعثهم الله إليهم، وقد حوّل تبارك وتعالى الكرامة الإلهية من بني إسرائيل إلى أمّة رسول الله (ص). عيسى (ع) هو آخر أنبياء بني إسرائيل، حيث انتقلت النبوة من أمّة بني إسرائيل إلى أمّة أخرى.

نبوة عيسى (ع) كانت قصيرة جداً من ناحية زمنية، حيث كانت حوالي ثلاث سنوات من مبعثه وإلى أن رفعه الله إليه. خلال ثلاث سنوات كان عيسى (ع) مؤثراً جداً في النفوس، ولقد كان يُبريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله وهذه معاجز لكن أصل القضية هي قوة الشخصيّة والقدرة القلبية التي لدى عيسى (ع) التي جعلت العالم يتأثر به إلى اليوم.

أهداف عيسى (ع):

كان لدى عيسى (ع) خمسة أهداف:

١ _ انقاذ بني إسرائيل من عبودية الأرباب من دون الله، حيث إن بني إسرائيل تورطوا بمشكلة وهي: أن علماء السوء عندهم حولوا أنفسهم إلى آلهة مقدسين، وأصبح الناس عبيداً لهؤلاء العلماء، ولهذا فإن عيسى (ع) شنّ حملةً شعواء على علماء السوء من بني إسرائيل الذين قاموا بعمل تحريفي في ديانة موسى (ع)، والقرآن الكريم يؤكد هذا قائلاً: [اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ][1] جاء عيسى (ع) وقال لهم بأنهم يعبدون أصناماً بشريّة وشنّ حملةً شعواء لأجل تحقيق التوحيد الخالص، وإبعاد الأمّة عن ربوبية غير الله قائلاً: [يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ].[2]

٢ _ إنقاذهم من التعصّب القومي، لقد كان بنو إسرائيل متعصبين وعندهم نزعة قومية متطرفة وبا صطلاحنا اليوم

(١) التوبة: ٣١.
(٢) المائدة: ٧٢.

(تكفيريين) وإلى اليوم هذه النزعة القومية الجاهلية موجودة لديهم قالوا نحن شعب الله المختار، القرآن أيضاً ينقل مقالتهم: [نَحْنُ أَبناءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ][1] ولديهم ادعاء عريض جداً بأنهم الأمّة المنتخبة التي يجب أن تسود العالم، وأمّا عيسى (ع) فقد أصبح يهدم هذه النزعة التكفيرية التي تتعالى وتستحقر سائر الشعوب.

٣ _ مواجهة التحريف الديني حيث ان بني إسرائيل حرّفوا ديانة موسى (ع)، وأعلنوا مبدأ الاباحيّة يوم السبت، حيث أنهم قالوا بأنهم يوم السبت تباح لهم المحرمات وهذه إحدى التحريفات التي قام بها اليهود، وجاء عيسى (ع) لكي يصحح هذا الأمر التحريفي، ولعل هذا ما يشير إليه القرآن الكريم وهو يتحدث عن بني إسرائيل قائلاً: [أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] إلى أن يقول: [فَوَيْلٌ

(١) المائدة: ١٨.

لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ] . [١]

٤ _ التزهيد في الدنيا: كان هذا هو أحد أهداف ومناهج حركة عيسى (ع) الاصلاحيّة فقد غرق بنو إسرائيل اليهود في حب الدنيا وانغمسوا فيها إلى الأعناق، وكانت النزعة النفعيّة الماديّة هي المتحكّمة بسلوكهم دائماً، مع موسى وبعد موسى (ع).

كان حديثهم مع موسى (ع) حديث الدنيا [يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ] ، [٢] [أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ] . [٣]

٥ _ تأسيس منهج المحبة، فلقد كان اليهود تكفيريين وأهل عدوان، وعيسى (ع) هو داعية السلام والسلم العالمي، فجاء لغرس منهج المحبة للإنسانية كما هو منهج نبينا (ص).

نصوص الانجيل:

---

(١) البقرة: ٧٥ - ٧٩.
(٢) البقرة: ٦١.
(٣) المائدة: ١١٤.

هذه هي الأهداف الخمسة لعيسى (ع) قد يستأنس بعضكم حينما أقرأ له نصوصاً من انجيل عيسى (ع) باتجاه الأهداف الخمسة التي أشرت إليها، يقول:

« يا بني إسرائيل أما تستحيون من الله...

ألم تسمعوا انه قيل لكم في التوراة: صلوا أرحامكم، وأنا أقول لكم: صلوا من قطعكم، واعطوا من منعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم وسلّموا على من سبَّكم، وأنصفوا من خاصَمكم، واعفوا عمَّن ظلمكم كما أنكم تحبون أن يُعفى عن إساءتكم».

يستمر ويقول: «بحق أقول لكم إن شر الناس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبها وطلبها» ثمّ يقول:

« ماذا يغني عن الأعمى نور الشمس وهو لا يبصرها».

يستمر (ع) ويقول:

«بحق أقول لكم إن الحريق

ليقع في البيت الواحد، فلا يزال ينتقل من بيت إلى بيت حتّى تحترق بيوت كثيرة، إلاّ أن يستدرك البيت الأوّل من قواعده فلا تجد فيه النار محلاً. وكذلك الظالم الأوّل، ويلكم يا عبيد السوء من أجل دنيا دنية وشهوةٍ رديئة تفرطون في ملك الجنّة وتنسون هول يوم القيامة».

ثمّ يناقش علماء السوء ويقول: «ويلكم يا عبيد الدنيا تحملون السراج في ضوء الشمس وضوءها كان يكفيكم وتدعون أن تستضيئوا بها في الظلم، كذلك استضئتم بنور العلم لأمر الدنيا».[١]

هذه هي مناقشات وجدل عيسى (ع) الكبير جداً باتجاه الأهداف الخمسة التي شرحتها لكم.

---

(١) تحف العقول: ٥٠٣ - ٥٠٦؛ بحار الأنوار ١٤: ٣٠٦.

مشكلة الأمّة:

لقد كانت مشكلة عيسى (ع) هي مشكلة أمته التي لم تتقبل رسالته بشكل جيّد، ولقد سيطر المنافقون على السيرة التصحيحيّة التي بدأها عيسى (ع).

بعد عيسى (ع) كان هناك شخص يُعتبر الآن هو الشخص أو الخليفة الثاني عند المسيحيين، الخليفة الأوّل بطرس والخليفة الثاني بولص والذي كان منافقاً في زمن عيسى (ع)، لكن بعد ثلاثين سنة من مقتل عيسى (ع) حسب نظريتهم، ادعى انه تراءى أو تظاهر له إن عيسى (ع) ونوره أخذ عيونه وصار أعمى ثمّ بعد ثلاثة أيام فتح الله عيونه وبدأ يقرأ لهم الانجيل، الحركة النفاقية هي التي كتبت الانجيل الفعلي بعد أن سيطرت على الوضع بعد عيسى (ع).

بولص هو الذي كتب الانجيل وهو إنسان لم يكن مؤمناً بعيسى (ع) حسب ما يذكر التاريخ، لكن أظهر الحالة الإيمانية وسيطر على الموقف بعد عيسى (ع).

عيسى (ع) هل أسس دولة دينية أم

لم يؤسس؟

هل انتصر عيسى (ع) أم لم ينتصر؟

الجواب هو إن عيسى (ع) لم ينتصر ولم يؤسس دولة دينيّة، لقد ذهب اليهود إلى ملك الروم وقالوا له إن عيسى (ع) يريد أن يشن ضدك حرباً، وعيسى (ع) كان في فلسطين، فجهّز ملك الروم جيشاً وأرسله إلى فلسطين وصلب عيسى بن مريم H بناءاً على نظرية الصلب والقتل، وبعد ثلاثمائة سنة جاء امبراطور الروم قسطنطين وآمن بعيسى وأعلن أن دين الدولة الرسمي هو النصرانية، الخط المنحرف إذن هو الذي سيطر بعد عيسى (ع).

شخصية عيسى والحسين H:

عيسى (ع) كان متواضعاً جداً ويعلّم الناس التواضع والمحبة، وكان عنده أصحابه الحواريون [قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلى اللهِ][1] القرآن يقول إن أمّة عيسى (ع) كفرت فقال: [مَنْ أَنْصارِي إِلى اللهِ] فنهض معه اثنا عشر

(١) الصف: ١٤.

شخصاً وهم الحواريون، وهذه نقطة تشابه بين عيسى والحسين H فعيسى (ع) عنده أصحاب نصروه والحسين (ع) عنده أصحاب نصروه أيضاً بينما تخاذل باقي أبناء الأمّة.

عيسى (ع) مرةً قال لهؤلاء الحواريين: أنا لدي حاجة عندكم.

قالوا: يا روح الله حاجتك مقضية.

قال: إذا كانت حاجتي مقضية مدّوا أرجلكم لأغسلها.

فمدّوا أرجلهم وغسلها.

ثمّ قال: «إنما صنعت بكم ذلك كيما تتواضعوا بعدي للناس».[1]

الحسين (ع) مرةً مرّ في الطريق فوجد مساكين يأكلون خبزاً يابساً، الحسين (ع) اثنى ركبتهُ وجلس عندهم يؤاكلهم، ثمّ قال: أنا الآن نزلت معكم وأنتم الآن انهضوا معي إلى بيتي، فذهبوا معه ولمّا دخل البيت قال: يا جارية آتينا بما أعددتيه لنا وبدأ

(١) الكافي ١: ٣٧.

يأكل معهم،[١] هذه هي أخلاقية التواضع عند النبي وعند الإمام.

وفود عيسى *(ع)* للعالم:

عيسى (ع) حمل بدايات الدعوة لدولةٍ عالمية، لأوّل مرة نحن نجد أن عيسى (ع) أرسل رسلاً وقبل أن يرفعه الله جمع الحواريين وقال: بعد مماتي أريدكم أن تنتشروا في كل العالم. وذهبوا إلى اليابان وإلى أنطاكية، وإلى ايران، وإلى دول آسيا.

القرآن الكريم كما تذكر بعض الروايات في سورة يس يقول: [إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ][٢] هؤلاء كانوا وفود عيسى (ع) إلى أنطاكية وسُجنوا بعد ذلك في أنطاكية. هذا هو عيسى (ع)، يؤسس دولة عالمية وبعد ذلك الأمّة الإسلاميّة ورثت هذه الدعوة وجاء رسول الله (ص) وشكّل الدولة الإسلاميّة، ثمّ قاد حركة العالمية الإسلاميّة، فأرسل رسولاً

(١) تفسير القرطبي ١٠: ٩٥.
(٢) يس: ١٤.

إلى كسرى الفرس وإلى قيصر الروم، أي إلى القطب الشرقي وإلى القطب الغربي في العالم حيث أرسل لهم يدعوهم إلى الإسلام.

عيسى (ع) كان يمثل بدايات الدعوة للديانة العالمية.

قلت لكم إن بني إسرائيل اليهود كانت مشكلتهم هي حب المال والدنيا ولهذا كانت معركة عيسى (ع) من أجل أن يخلصهم من حب الدنيا؟

خرج عيسى (ع) مع ثلاثة من أصحابه، في الطريق شاهدوا ثلاث لبنات من ذهب، عيسى (ع) وأصحابه رأوا هذه الأحجار.

قال لهم عيسى (ع): إن هذا يقتل الناس.

ثمّ مشوا ولكن ظلوا يفكرون بهذه الأحجار، وفي الطريق استأذن أحدهم من عيسى (ع) ليرجع فأذن له ثمّ استأذن الثاني فأذن له، وكذلك الثالث. وهم يرجعون إلى الأحجار ويتصورون انهم

يخدعون عيسى (ع) ببعض الأعذار ولكنه يعرف نيتهم، والتقوا عند الأحجار الثلاثة، ثمّ قالوا لأحدهم: اذهب وأحضر لنا طعاماً لنأكله فذهب فوسوس له الشيطان وقال: أنا سأضع لهم السم في الطعام لكي يموتوا وتبقى الأحجار الثلاثة لي وحدي، أمّا الاثنان الآخران فاتفقا على قتل صاحبهما عند عودته لكي تصبح الأحجار لهما وحدهما ولا يشاركهما فيها، فبمجرد أن وصل قتلاه ولما أكلا من الطعام المسموم ماتا على أثر ذلك، فرجع عيسى ووقف عندهم وقال: ألم أقل لكم إن هذا يقتل الناس؟[١]

تسمية السيد المسيح *(ع)*:

لاحظوا تربية عيسى (ع) لقد كان الحواريون معه وكان يسيح بهم، ولهذا سمي المسيح حسب ما تقول بعض

---

(١) أنظر: أمالي الصدوق: ٢٤٧؛ بحار الأنوار ١٤: ٢٨٤.

الروايات، وهناك عدة تفاسير لتسميته بالمسيح.

تفسير يقول: إن الله مسح عليه وباركه فصار مسيحاً، أي ممسوحاً بيد الله تبارك وتعالى، وتحليل آخر يقول المسيح من السياحة والسيح حيث كان عيسى (ع) يكثر السياحة في البلاد أي انه رجل عالمي، وحسب ما يقول هذا التحليل من هنا سمي المسيح ومعه هؤلاء الحواريون الاثنا عشر _ حيث ابتعد عنه بنو إسرائيل _ وفي الطريق وهم منصرفون للعبادة ولم يكن يوجد طعام ولا زراعة لكن كانوا متى ما جاعوا وجدوا طعاماً أمامهم ومتى ما عطشوا وجدوا الماء أمامهم بلا تعب.

فقالوا: يا عيسى نحن منزلتنا عالية جداً نأكل ونشرب بلا تعب ولا عمل فهل يوجد من هو أفضل منا؟

لاحظوا التثقيف الديني، عيسى (ع)

قال لهم: نعم أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه.[١]

نقاط تشابه مع الحسين (ع):

هذه إلمامة عن حركة عيسى (ع)، وننتقل إلى الحسين (ع)، هناك مجموعة نقاط مقارنة بين الحسين وبين عيسى H والحديث على سبيل الاختصار:

مقارنة أولى: عيسى (ع) قام بحركة تصحيحية بعد موسى (ع)، والحسين (ع) قام بحركة تصحيحية ضد الانحراف الذي حدث بعد رسول الله، حيث كان الوضع يحتاج إلى حركة تصحيحية وكان الإمام عليّ والأئمّة (ع) واحداً بعد واحد قادوا هذه الحركة التصحيحية.

لقد تسلط معاوية بن أبي سفيان على التجربة الإسلاميّة وعمل جاهداً على أن يُسبغ على حكمه ثوب الشرعيّة والقدسيّة الدينيّة، لكن جهود الأئمّة

(١) تفسير مجمع البيان ٢: ٣٠٤.

الأطهار (ع) التي كان يقف في طليعتها صلح الحسن وثورة الحسين (ع) مزّقت هذه الشرعيّة.

تصوروا انه لولا حركة الحسين (ع) ماذا كان يحلّ بالإسلام والمسلمين؟ وأي حكم وحاكم كان يحكم على المسلمين باسم الإسلام وهو عدو الإسلام؟ لحد الآن هناك من يحاول أن يبريء يزيد من قتل الحسين (ع)، سأقرأ لكم نموذجين:

كلمات ضد الحسين (ع):

الأوّل: شيخ الأزهر وهو المرجع الديني الأعلى في مصر التي هي أم العالم الإسلامي السُني، شيخ الأزهر الأسبق وليس الحالي وهو الشيخ محمّد الخضري يقول: (إن الحسين أخطأ خطأ عظيماً في خروجه، وهو الذي جرّ للأمّة وبال الفرقة والاختلاف وزعزع عماد ألفتها إلى يومنا هذا).[1]

أنتم تصوروا لولا حركة أهل البيت التصحيحية وحركة الشيعة إلى أين كنا

---

(١) أنظر: الغدير ٣: ٢٥٨، عن كتاب: تاريخ الأمم الإسلاميّة للخضري: ١٢٩.

سنصل مع مثل هذه النماذج؟!

والنموذج الآخر: محمّد الغزالي، وهو مفكر النخبة الإسلاميّة وشيخ الاخوان المسلمين، ومع ذلك يندد بنهضة الحسين (ع) ويقول: إنها مجازفة ولا أثر فيها لحسن السياسة، وكان المتعيّن عليه أن يبايع يزيد!

لقد كان الإسلام يتعرض لخطر كبير وهو خطر تسلط الخط النفاقي ووقف أهل البيت (ع) في مواجهة هذا الخطر النفاقي إلى أن اتضحت كثير من الحقائق واكتشفت الأمّة عناصر الانحراف. وأصبح المفكر الكبير الأندلسي ابن رشد يقول: (إن معاوية أقام دولة بني أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك باباً للفتن التي لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتّى في بلادنا الأندلس).[١]

والحسن البصري وهو من التابعين أصبح يقول: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلاّ واحدة لكانت

(١) ابن رشد وفلسفته: ٦٠.

موبقة:

١ _ انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء.

٢ _ استخلاف ابنه يزيد.

٣ _ ادعاؤه زياداً.

٤ _ وقتله حجراً وأصحاب حجر، ويل له من حجر.[١]

لقد أثبت التاريخ هذه الجرائم لمعاوية، لكن كل ذلك إنما كان ببركة جهود أهل البيت (ع).

مقارنة ثانية: إن الحركة التصحيحية التي قادها الحسين (ع) وهي حركة تصحيحية في داخل جسم الأمّة الإسلاميّة كما كان عيسى (ع) يقوم بحركة تصحيحية في داخل أمّة بني إسرائيل أي من الداخل، لكن هناك فرق بين عيسى والحسين H، حيث أن عيسى (ع) لم يواجه امبراطوراً وملكاً بل كان يواجه حالة داخلية من علماء

(١) أنظر: تاريخ الطبري ٤: ٢٠٩؛ ينابيع المودة ٢: ٢٧؛ شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٢.

السوء ونا ساً جهلاء، ولكن الحسين (ع) واجه ملكاً وواجه أُمةً جاهلة.

مقارنة ثالثة: هي أن عيسى (ع) انتخب اثني عشر من الحواريين وإنما سمّوا حواريين لأن كلمة حور في اللغة تعني أبيض في إشارة إلى بياض قلوبهم أو بياض أبدانهم. حور يعني أبيض، هذا أحد التفاسير اللغوية لمعنى الحواريين، أو بمعنى انهم أصحاب أو أنصار وهو معنى آخر لكلمة الحواري في اللغة.

الحسين (ع) أيضاً في حركته اصطفى مجموعة من الناس، وقال: «من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح»،[١] «ومن قبلنا بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ عليّ أصبر»،[٢] كما قال عيسى (ع): [مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللَّهِ]؟

---

(١) دلائل الإمامة: ١٨٨؛ مناقب آل أبي طالب ٢: ٢٣٠؛ مثير الأحزان: ٢٧.

(٢) الفتوح ٥: ٣٣؛ مقتل الخوارزمي ١: ٨٨؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٠.

لقد لبى نداء الحسين (ع) مجموعة قليلة من الأمّة الإسلاميّة وهنا قال الحسين (ع): «إني لا أعلم أصحاباً خيراً ولا أوفى من أصحابي».[١]

مقارنة رابعة: فرق بين الحواريين وبين أصحاب الحسين (ع).

الروايات تقول: إن عيسى (ع) لما ألقي القبض عليه وأرادوا اعدامه _ والقرآن يقول: [رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ][٢] ولم يقل: قتلوه ولا صلبوه _ لكن في هذه الحالة التي ألقي فيها القبض على عيسى (ع) التاريخ يقول: إن أصحابه الحواريين فرّوا عنه وتخلّوا عنه وسيق عيسى (ع) وحده للاعدام.

أمّا أصحاب الحسين (ع) فقد قالوا: لو نقتل ثمّ نحرق ثمّ نذر في الهواء ويفعل بنا ذلك ألف مرة ما تركناك يا أبا عبد الله. هذه نقطة امتياز ولهذا كان أصحاب الحسين (ع) سادات الشهداء في الجنّة، فشهادتهم لم تكن شهادة عادية، لأنهم

---

(١) الإرشاد ٢: ٩١؛ بحار الأنوار ٢: ٩١.
(٢) النساء: ١٥٨.

عبروا محنة كبيرة، محنة فكرية ونفسية، آلاف الناس يعرفون إن الحسين (ع) على حق وهو سيد شباب أهل الجنّة، ولكن لم يقدروا أن يعبروا تلك المحنة وأصحاب الحسين (ع) استطاعوا أن يعبروها.

مقارنة خامسة: عيسى (ع) مع المساكين، والحسين (ع) مع المساكين كما في القصة التي شرحتها لكم.

مقارنة سادسة: التضحية، عيسى (ع) استعد أن يكون شهيداً مضحياً. هذه التضحية لعيسى (ع) جعلته يعيش في قلوب مليارات من الناس في العالم، وصار عندهم مشهد إعدام عيسى (ع) هو الصليب المقدس، الحسين (ع) كذلك كانت تضحيته في كربلاء هي التي أعطته زخماً روحياً مليونياً لدى المسلمين على طول التاريخ بل زخماً عالمياً لدى غير المسلمين.

مقارنة سابعة: عيسى (ع) وُلد لعمر ستة أشهر، والحسين (ع) أيضاً هو الوليد لستة أشهر كما تقول

الروايات.[١]

مقارنة ثامنة: بكاء السماء.

الرواية عن الإمام الباقر (ع) تقول: «لما كان الليلة التي قتل فيها عليّ (ع) لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلاّ وجد تحته دم عبيط، وكذلك الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم H، وكذلك الليلة التي قتل فيها الحسين (ع)».[٢]

مقارنة تاسعة: إن أبرز من يخرج مع إمام زماننا اثنان أحدهما عيسى (ع)، والثاني الحسين (ع).

قد يقول قائل: كيف ذلك والحسين (ع) قد قتل؟

الجواب: لقد ثبت أن عيسى (ع) ينزل من السماء، وإذا كان عيسى (ع) ينزل من السماء فإن الحسين (ع) أيضاً يخرج من الأرض، إذا كانت القضية فيها إرادة إلهية فنحن نُسلّم أمام هذه الإرادة

---

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٧٣.

(٢) أنظر نص الرواية في: كامل الزيارات: ١٥٨.

الإلهية تسليماً.

الروايات تقول: يخرج عيسى (ع) فيصلي خلف المهدي[١] وأوّل من يخرج مع الإمام المهدي (ع) هو الحسين (ع).[٢]

هذا أحد أوجه المقارنة بين عيسى والحسين H، والحديث في هذا الشأن طويل.

شخصيّة العباس (ع):

أحد نجوم كربلاء اللامعة هو شخصية أبي الفضل العبّاس (ع) الذي رسم نموذجاً للمواساة لا نعرف له مثيلاً، حتّى جاء في زيارته الواردة عن الإمام السجاد (ع): «نعم الأخ المواسي لأخيه»،[٣] والمواساة هي مسألة غير مسألة البطولة والشجاعة وغير مسألة الآداب مع الحسين، هذا حديث واسع.

القيم الأخلاقية التي جسدها

---

(١) الخصال: ٣٢٠.
(٢) بحار الأنوار ٥٣: ٤٤.
(٣) بحار الأنوار ٩٨: ٢١٩.

العبّاس يوم كربلاء كثيرة:

منها: الطاعة للحسين (ع) والأدب العالي معه حيث لما جاء شمر بن ذي الجوشن إلى الخيام وقال: أين بنو اختنا يقصد أولاد أم البنين لأنها كلابية والشمر أيضاً كلابي، العبّاس (ع) يسمع ويعرف انه يقصده واخوته لكن تأدباً مع الحسين (ع) كان العبّاس (ع) مطأطأ لا يجيب الشمر، ولمّا ألحَّ الشمر بالسؤال قال الحسين (ع): أجيبوه، هنا نهض العبّاس (ع) وأجابه.

كل ذلك في جانب والمواساة والايثار في جانب آخر.

أقبل إلى الحسين (ع) وقال: أخي أبا عبد الله لقد ضاق صدري وسئمت الحياة ائذن لي بقتال هؤلاء القوم.

فقال له الحسين (ع): إذا أنت مَضيت تفرَّق عني عسكري لكن يا أبا الفضل أطلب لهؤلاء الصبية قليلاً من الماء.

أقبل قمر بني هاشم (ع) على

المشرعة وكشف عنها أربعة آلاف مقاتل ونزل إلى الماء وملأ القربة، عاد وفي الطريق كَمَن له لعين فضربه على يمينه فقطعها: أنشد العباس (ع) يقول:

والله إن قطعتمـــــوا إني أحامي أبداً

وعن إمام صادق اليقين

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(٨ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة السابعة:

مقارنة بين رسول الله (ص) والحسين (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[محمّد رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً] .(١)

قال إمامنا الحسين (ع): «**أما بعدُ فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمّة جدي، خرجت لأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق و من ردّ عليّ أصبر**».

الحديث هذه الليلة على سبيل الايجاز والاختصار عن الحركة الاصلاحية التي قادها خاتم الأنبياء والمرسلين سيد الخلق أجمعين نبينا عليه وعلى آله آلاف التحية

---

(١) الفتح: ٢٩.

والسلام، وقد بشرت به الكتب السماوية السابقة _ التوراة والإنجيل _ [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ] إلى أن يقول: [ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ] أي أن الأنبياء السابقين تحدّثوا عن النبي محمّد (ص) وتحدّثوا عن هذه الأمّة أيضاً.

لاحظوا هناك حديث عن رسول الله (ص) [وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ][1] هذا تبشير بمجيء نبوة خاتمة جديدة هي نبوة نبينا (ص)، لكن هناك تبشير وتذكير بحدوث شيء جديد، وأمّة جديدة وهي أمّة رسول الله (ص) هذا الأمر سيفتحنا للحديثٍ عن حركة النبي (ص) الاصلاحية وامتياز هذه الحركة ومعالمها وحتّى نصل للحسين (ع).

النبي (ص) كما تعلمون ولد في عام الفيل وبُعث بعد ستمائة سنة من ميلاد عيسى بن مريم H _ بينما كانت الفاصلة بين عيسى وموسى H ألف وأربعمائة سنة أو أكثر، وكان خلالها

(١) الصف: ٦.

عشرات أو مئات الأنبياء كما قال تعالى: [أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا][١] ولكن بنو إسرائيل لم ينجحوا في التجربة مع أنبيائهم ولهذا فإن لدينا روايات تقول إن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الشمس إلى غروبها سبعين نبياً.

نبينا (ص) لا يوجد بينه وبين عيسى (ع) نبي ولهذا فإن القرآن الكريم كما في الروايات يعبّر عن هذه الفترة الزمنية بعبارة [عَلى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ][٢] أي ليس هناك رسل، أي أن هناك انقطاع بين السماء والأرض وعملية حجب بين صوت السماء وبين الأرض حتّى جاءت نبوة نبينا (ص).

الظرف التاريخي هو تحكم امبراطوريتين في العالم وهما امبراطورية الروم وامبراطورية الفرس،

---

(١) المؤمنون: ٤٤.
(٢) المائدة: ١٩.

وفي هذا الظرف بُعث نبينا (ص) ليكون نوراً جديداً في الأرض [يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ]، (١) [لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ]. (٢)

أهداف النبوة الخاتمة:

لا شك أن حركة نبينا (ص) في الاطار العام هي الدعوة إلى دين الله وترسيخ حركة الأديان الإلهية، فالأنبياء أحدهم يُكمّل الآخر، نبينا (ص) كان باتجاه ترسيخ الديانة التوحيدية على الأرض وعبودية العباد لله تبارك وتعالى ولكن هنالك أمور مستجدة، وهناك منجزات أخرى لنبينا (ص):

الدعوة لدين الله وهو الإسلام [مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم] (٣) فالنبي (ص) يقول: لست بدعاً من الرسل [قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ] (٤) أي انني لست رسولاً منفرداً عن الآخرين بل جزء من سلسلة النبوات، فالدين الذي أدعو له هو نفسه الدين الذي دعا له إبراهيم (ع) فهو الذي سمّاكم المسلمين من قبل، هذه الدعوة دخل فيها الرسول (ص) في مواجهتين:

---

(١) النور: ٣٥.
(٢) إبراهيم: ١.
(٣) الحج: ٨٧.
(٤) الأحقاف: ٩.

المواجهة الأولى: مع الوثنية وعبادة الأصنام.

المواجهة الثانية: مع أهل الكتاب أي مع الحركة التحريفية النفاقية التي غلبت الأمم السابقة في خط الأنبياء (ع)، أي أن هناك تحريفاً باسم الدين قاده اليهود والنصارى.

كان نبينا (ص) بصدد القيام بحركة تصحيحية فيما هو الموروث الديني، أي أن الدين الصحيح الذي نزل من الله على موسى وعيسى وإبراهيم (ع) قد حُرّف وجاء نبينا (ص) ليقوم بحركةٍ تصحيحية في الخط الديني.

منجزات النبي الأكرم *(ص)*:

على هذا الأساس فإن نبينا (ص) قد حقق أربعة منجزات لم يحققها نبي من قبل:

١ _ بناء منظومة فكرية صحيحة وشاملة: الآن نحن المسلمون نمتلك منظومة فكرية صحيحة شاملة لكل مناحي الحياة قادرة على أن تحكم الحياة

وتدير البشرية، هذه المنظومة الفكرية هي كتاب الله المشروح بشرح أئمّتنا الأطهار (ع)، فالتوراة والإنجيل قد حُرّفت، صحف إبراهيم (ع) وزبور داوود (ع) لم يبقَ لهما على الأرض ذكر، لكن القرآن وهو عبارة عن قانون أساسي ومنظومة فكرية في المجال الأخلاقي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ما زال خالداً.

وهذا هو أعظم مُنجز لنبينا (ص) ولهذا قال الله تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ][1] أي أن الله سبحانه وتعالى قد حفظ القرآن من التحريف، التوراة والإنجيل أيضاً من كتب الله، لكن الله لم يحفظهما ربّما لاعتبار القرآن هو الذي سيقود البشرية وهو المعجزة الثقافية الخالدة.

لاحظوا أولئك ما هي معجزاتهم؟ وأمّتنا ما هي معجزتها؟

عيسى (ع) كان يبريء الأكمه والأبرص لكن هذه قضية آنية

(١) الحجر: ٩.

مقطعية. فإذا انتهى عيسى (ع) ومات أو رُفع فإن معجزته انتهت أيضاً، ثمّ إن القضية ليست قضية ثقافية علمية، أمّا القرآن فهو معجزة ثقافية وهذا يعني أن أمّة الإسلام جوهرها الفكر والثقافة ولها قدرة ولياقة على ديمومة الحركة الفكرية وبمقدار ما هو القرآن خالد فإن الحركة الفكرية خالدة لهذه الأمّة. ولهذا فهم ليسوا بحاجة إلى نبي جديد وقرآن جديد.

٢ _ بناء أمّة قادرة على وراثة الأرض: لقد اختار عيسى (ع) من أصحابه إثني عشر شخصاً فقط وحينما سحبوا عيسى (ع) للاعدام فإن هؤلاء أيضاً تركوه أي أنه لم يستطع أن يصنع أمّة.

موسى (ع) معه أمّة بني إسرائيل ولكن هذه الأمّة لم توفّق لكي توا كب حركة موسى (ع) ولهذا فقد دعا عليهم

موسى (ع) في قوله: [فَافْرُقْ بَيْنَنا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ][1] وانتخب سبعين شخصاً من الحواريين وأيضاً كانت لهم مشكلات مع موسى (ع)، فهو لم يستطع أن يصنع أمّة ترث الأرض أيضاً. ولهذا فقد ضاع قوم موسى (ع) في صحراء سيناء مدة أربعين سنة ومات نبيهم موسى (ع) ومات هارون (ع) والأمّة أيضاً مات منهم جيل كامل وجاء جيل جديد.

لكن نبينا (ص) استطاع أن ينجز أمّة قادرة على وراثة الأرض وديمومة الحياة لها وهذه الأمّة تمتلك الجذور الصالحة للحياة التي لا تموت رغم ما لديها من مشاكل، وما جرى عليها من مشاكل، لكنها تستطيع أن تبقى، ولهذا فقد جاء التبشير في التوراة والإنجيل بأن هناك نبي سيأتي في آخر الزمان ولديه أمّة عظيمة [ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ].

قد يقول قائل: إن لدينا تصور سلبي عن أمّة رسول الله بعد النبي (ص)،

(١) المائدة: ٢٥.

وإن هذه الأمّة قد انحرفت.

نقول: صحيح، لكن بذور الحياة كانت موجودة في هذه الأمّة، واستطاعت أن تولّد جيلاً بعد جيل ولم تمت بسيطرة الظالمين والمنافقين، رغم أن هناك أمواجاً قد غطت هذه السفينة لكنها لم تغرق، وذلك لوجود شيء وهو الحصانة الذاتية وهو ضمان ديمومتها، أي أن هناك إصلاح ديناميكي أو ذاتي في داخل هذه الأمّة «إني تارك فيكم الثقلين أو ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض»[1] أي أنه بمقدار التمسك بالقرآن وبأهل البيت فهذه الحركة تستمر، فهناك تمسك كامل بهذين الركنين وذلك عند شيعة أهل البيت، أما باقي المسلمين فإن لديهم تمسك

(١) عيون أخبار الرضا X ١: ٦٨؛ كمال الدين: ٢٣٧؛ سنن الترمذي ٥: ٣٢٨، و... وقد رووه بألفاظ مختلفة مع اتحاد في المعنى.

نسبي بسيط بأهل البيت وبالقرآن الكريم، فآثار أهل البيت ونورهم مبسوط على كل المسلمين كما هي آثار القرآن ونوره، إذن هناك خيط أو صلة بين قارب النجاة وهو القرآن وأهل البيت وبين الأمّة المسلمة وبمقدار تمسكهم تكون نجاتهم.

٣ _ ضمانات البقاء: ليس هنالك نبي أعطى ضمانات بقاء، الأنبياء الماضون قتلوا أو ماتوا بدون ضمانات بقاء لرسائلهم ولأمتهم، وذلك حسب استحقاقات الأمّة يومئذٍ وحسب قدرة أولئك الأنبياء على الكشف عن عالم الغيب وعالم السماء، أمّا نبينا (ص) فقد استطاع أن يعطي لأمّته ضمانات البقاء [الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً][1] يجب أن نلتفت لهذه القضية، فمعنى هذا هو أنه يقول لهم إن ضمانات البقاء الأبدي قد أعطيتها لكم وذلك في يوم عيد الغدير، وفي هذا اليوم لم يأتِ تشريع صلاة وصوم أو زكاة وحج بل هناك شيء اسمه بيعة أمير المؤمنين (ع) أي أن

(١) المائدة: ٣.

إكمال الدين هو بيعة أمير المؤمنين (ع) [وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي] أي نعمة الارتباط بالدين [وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينا].

عجباً هل أن الله تبارك وتعالى لم يكن يرضى بالإسلام قبل عيد الغدير؟ فما معنى هذه الآية؟ الجواب إن الله هو الذي اختار الإسلام منذ بعث النبي (ص)، ورضيه ديناً للمسلمين لكن الإشارة هنا هي إن الله رضي بالإسلام ديناً باقياً على الأرض كواقع وكقضية تكوينية وليس مجرد تشريع ونظرية. أي أن الدين الذي سيحكم هو دين الإسلام وهذا بحث واسع.

٤ _ تأسيس الدولة: إن رسول الله (ص) امتاز عن باقي الأنبياء (ع) بتأسيس الدولة الإسلاميّة، فرسول الله لم يأتِ فقط بقرآن وسُنة ولم يعطِ ضمانات بقاء فقط، ولم يبن أمّة صالحة فقط، وإنما أسّس دولة الأنبياء (ع)، أي أنه فعّل النظرية، وهي النظرية التي طرحها إبراهيم وموسى وعيسى (ع)، وهي نظرية خلافة الصالحين

ووراثتهم للأرض [وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ][1] وهي نظرية منذ أيام موسى (ع)، لكن من هو الذي استطاع أن يُفعّل هذه النظرية على الأرض؟

نبينا (ص) أسس على الأرض دولة إسلاميّة وهذا أعظم منجز لرسول الله (ص) فلقد اختزل حركة الأديان ولآلاف السنين وترجمها على الأرض فكانت دولة إسلاميّة.

٥ ـ التبشير بدولة الإسلام العالمية: أي أن رسول الله (ص) لم يؤسس دولة في الجزيرة العربية فقط، لكي يقول قائل وما قيمة أن تكون دولة في الجزيرة العربية؟ فهي كلها ليست مثل مدينة من مدن امبراطورية الروم أو الفرس.

رسول الله (ص) اعتبر هذه الدولة الإسلاميّة في الجزيرة العربيّة هي بذرة الإسلاميّة العالمية، ولهذا فقد أرسل رسول الله (ص) وفداً إلى كسرى الفرس

---

(١) القصص: ٥.

والى قيصر الروم لكي يدخلوا في الإسلام.

يقول التاريخ: إن رسول الله في معركة الأحزاب (الخندق) حينما وجدوا حجراً ضخماً وكلما أرادوا رفعه تتكسر الفؤوس والمعاول، فجاء رسول الله (ص) وأخذ الفأس وجعل ثوبه على الفأس وضرب ضربة على الحجر فانثلم من هذا الحجر ثلثه وانفلق نور وكبَّر رسول الله وكبَّر المسلمون، الضربة الثانية والثالثة أيضاً كذلك.

قالوا: يا رسول الله ما هذا النور؟ وما هذا التكبير؟

قال (ص): في الضربة الأولى ولما انثلم الحجر ظهر نور أرى فيه قصور الروم كلها أمامي، والثاني بلاد الفرس والثالث بلاد اليمن وبلاد الحبشة،[1] كان هذا تبشيراً بدولة عالمية، وبدأ رسول الله (ص) يُبشر بدولة عالمية قائلاً: «لا تقوم الساعة حتّى

(١) البحار ٢٠: ٢١٩.

يملك رجل من ولدي يوافق اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».[١]

الحقيقة أن التجربة الاصلاحية الكبرى التي قادها سيد الخلائق نبينا (ص) هي تجربة تستحق الوقوف عندها كثيراً، ونحن آثار هذه التجربة.

اليوم العالم يتحرك بصوت رسول الله (ص) ولهذا نرى العداء مع نبينا والصحف الدنماركية والترويج لها من قبل الدول الأوربية حينما تهزأ بنبينا (ص)، أي نبي هذا، من قبل ألف وأربعمائة عام وهم لحد الآن يخافون منه؟

نلاحظ هذه الروح العظيمة قبل ألف وأربعمائة عام ماذا تصنع بالمسلمين اليوم؟

الأمّة التي تحركت بعد الاعتداء على شخص رسول الله (ص) في الصحافة الدنماركيّة هي أمّة حية، وتدب فيها روح جديدة. أمّة تعلمت من رسول الله (ص) ومن أهل بيته (ع) وهذه آثار عليّ (ع)

---

(١) دلائل الإمامة: ٤٧٧.

وآثار الحسين (ع) في كل العالم الإسلامي.

مقارنة مع حركة الحسين (ع):

أعددت لكم عشر نقاط مقارنة بين حركة الحسين (ع) وحركة رسول الله (ص):

١ _ الهجرة:

فقد هاجر رسول الله (ص) هجرتين: الأولى إلى الطائف، والثانية إلى المدينة المنورة، والحسين (ع) هاجر من المدينة المنورة إلى مكّة، ثمّ من مكّة إلى العراق، هذا هو خط الهجرة في سبيل الله. والفرق بين الهجرتين هو أن هجرة النبي (ص) كانت هجرة سرية وهجرة الحسين (ع) كانت علنية، والنبي في هجرته استخلف عليّ بن أبي طالب (ع) على فراشه والحسين (ع) لم يستخلف أحداً في المدينة المنورة، ومن نقاط التشابه بين هجرة النبي (ص) وهجرة الحسين (ع) هي أن هجرة النبي (ص) كانت بتخطيط إلهي وهجرة الحسين (ع) أيضاً بتخطيط إلهي.

جبرئيل نزل على رسول الله (ص) يقول: يا محمّد، أخرج من مكّة فليس لك بها ناصر بعد أبي طالب،[١] الحسين (ع) أيضاً هاجر بتخطيط إلهي، فرسول الله (ص) قد أخبر بقتل الحسين (ع) في كربلاء والأنبياء (ع) قد أخبروا بذلك وعليّ (ع) أخبر بذلك أيضاً والحسين (ع) يعلم بأن هذا هو تخطيط إلهي، حتّى انه يقول لأم سلمة وهو ما يزال في المدينة المنوّرة عندما قالت له: يا أبا عبد الله أنا أخشى عليك أن تُقتل، قال: «أنا أعلم باني أقتل وأعلم أين أُقتل وفي أي أرض ولو أردتِ أن أريكِ البقعة التي أُقتل فيها»، ثمّ أشار بيده إلى الأرض وانخفضت فرأت مشهد كربلاء وأرض كربلاء، قال: «هذه الأرض التي أُقتل فيها».[٢]

٢ _ إن المدينة المنورة كانت مهد الدولة الإسلاميّة لرسول (ص)،

---

(١) الجواهر السنية: ٢١٩.
(٢) أنظر: الثاقب في المناقب: ٣٣١.

بينما كان العراق مهد الثورة الإسلاميّة للحسين (ع).

رسول الله (ص) أسس دولة في المدينة حين هاجر إليها، أمّا الحسين (ع) فقد هاجر إلى العراق، ليكون منطلق الحركة التصحيحية على يد الحسين وأهل البيت (ع). العراق هو مهد الحركة التصحيحية للواقع الإسلامي الذي أراد المتآمرون أن يحرفوه.

في العراق كانت عملية المواجهة مع الخط النفاقي الذي تسلط على الأمّة الإسلاميّة وقد كان النبي (ص) يخبر بذلك _ كما ثبت في أحاديث السنة والشيعة _ ان رسول الله (ص) كان يقول: «رأيت في منامي كأن بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة»،[1] وهذا مذكور أيضاً في كتب صحاح السُنة، والنبي حدّث المسلمين: «وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنان وسبعون في النار

(١) كنز العمال ١١: ١٦٥/ ح ٣١٠٥٤.

وواحدة في الجنّة»[١] هذا حديث متواتر يتفق عليه جميع المسلمين ولم يستطع أحد أن يفسره إلاّ شيعة أهل البيت (ع)، وليس هناك فرقة ناجية غير الفرقة المرتبطة بأهل البيت (ع). رسول الله (ص) يقول: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[٢] وهذا هو حديث (السفينة) فهل أن أولئك الذين نصروا معاوية ويزيد وكتّفوا عليّاً (ع) وقالوا له: بايع وإلاّ نضرب الذي فيه عيناك، هل ركبوا السفينة؟ حديث النبي (ص) هذا لاينطبق إلاّ على شيعة أهل البيت (ع).

٣ _ الاصرار والعزم الراسخ:

قريش جاؤوا إلى أبي طالب عم النبي (ص) وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، قل له يترك ذلك.

أبو طالب رجل سياسي قال لهم: سأتكلم معه في ذلك.

فقال له: يا بن أخي جائتني قريش

(١) البحار ٢٨: ١٣.
(٢) قرب الاسناد: ٨.

وقالوا كذا وكذا فما أنت قائل.

قال (ص): «يا عمّ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»،[1] هذا التصميم الراسخ نجده عند الحسين (ع) في كربلاء حين قال: «ألا وان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله ونفوسٌ أبية وأنوفٌ حمية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام».

هذا الاصرار أصبح يتوارث عند شيعة أهل البيت (ع) والآن بعودة الشعائر الحسينية في العراق يعود الحسين (ع). أمم كاملة وأجيال سابقة وسلاطين أرادوا إبادة هذا النور لكن الحسين (ع) قد عاد وهو يتحرك بحركة كل شخص يؤدي الشعائر الحسينية، ونور ينير به أرض العراق ويشع على كل العالم، هذا معنى محرم الحرام ومعنى (هيهات منا الذلة) وهي

(١) راجع: أبو طالب حامي الرسول: ٢٦.

صرخة موجودة في عروق كل واحدٍ منكم رجالاً ونساءاً، شيباً وشباباً.

٤ _ دور الحراسة:

عليّ (ع) كان حارس الفواطم، عندما هاجر النبي (ص) من مكّة إلى المدينة، كان وحده ولم يأخذ معه النساء، فقد كان متخفياً وليس معلناً مثل الإمام الحسين (ع)، والذي جاء بالنساء إلى المدينة هو عليّ (ع) بعد عدة أيام من أداء الأمانات، فجمع الفواطم وهن فاطمة بنت رسول الله (ص) وهي صغيرة يومئذٍ، وفاطمة بنت أسد وهي أم الإمام عليّ (ع)، وفاطمة بنت الزبير، وقيل: فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وجاء بالفواطم إلى المدينة المنورة، وهناك في مدخل المدينة المنورة كان رسول الله (ص) ينتظره، ولمدة خمسة عشر يوماً يقول: «لا أدخل المدينة حتّى يأتي أخي عليّ».

قال له أبو بكر: لقد تأخر عليّ، فلندخل نحن ثمّ يأتي بعدنا.

قال النبي (ص): «إنه لن يتأخر، إذا شئت فاذهب أنت» ثمّ ذهب وترك

النبي وحده وهذا باجماع المؤرخين، ومكث النبي خارج المدينة خمسة عشر يوماً حتّى جاء عليّ (ع) ودخل معه المدينة.[1]

الرواية تقول عن الإمام السجاد (ع): إن ذلك كان أوّل حسد بين أبي بكر وعليّ (ع).

رحلة الحسين (ع) من المدينة إلى العراق أيضاً كانت هناك فواطم وزينبيات، من هو الحارس للفواطم والزينبيات؟

هو قمر بني هاشم (ع) وهو ابن أمير المؤمنين (ع) و هو حارس الفواطم في هذه الرحلة العظيمة.

٥ _ القتال:

حركة رسول الله (ص) الدينية الاصلاحية هي قتال على التنزيل، وحركة الحسين (ع) هي قتال على التأويل، أي إن رسول الله (ص) قاتل الناس على أصل الإسلام والحسين (ع) قاتلهم على جوهر

(١) أنظر: البحار ١٩: ١٠٦.

الإسلام، الحسين وعليّ والحسن والأئمّة الأطهار (ع) كانت حربهم على تأويل القرآن، وقد قال له رسول الله (ص): «يا عليّ إنك ستقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين من بعدي، وإنك ستقاتل على التأويل»،[1] هكذا كان الحسين (ع)، قتاله على التأويل وليس على أصل التنزيل.

٦ _ هبوط الملائكة:

الملائكة في يوم بدر هبطوا على رسول الله (ص)، في كربلاء أيضاً هبطوا إلى أرض كربلاء، القرآن الكريم يحدّثنا عن هبوط الملائكة في واقعة بدر، يقول: [إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ][2] أي يتبعهم ألف آخر بقدرهم، ثمّ يقول: [وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشّيكُمُ النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ وَلِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ

---

(١) أنظر: كفاية الأثر: ١١٧.
(٢) الأنفال: ٩.

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ]. (١)

لقد كانت في بدر أربعة عوامل للنصر: ١ _ الملائكة ٢ _ النوم: إذ جعلهم الله ينامون ليلة كاملة مرتاحين وهم أمام عدو عدده ثلاثة أضعاف جيش المسلمين، وهذا النعاس لكي يطمئنوا بعد خوفهم [أَمَنَةً مِنْهُ] ٣ _ المطر [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ]. ٤ _ الرعب، حيث ان الله تعالى تدخل مباشرة وأنزل الرعب في قلوب الكافرين، ثمّ قال الله تعالى للملائكة: [فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ] أي اقطعوا الرؤوس واقطعوا أيديهم وأكفهم والراوي يقول: كنا نرى الرؤوس والأيدي تتطاير ولا ندري من يقتلهم.

في آية أخرى تشرح نفس الموضوع [إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ] (٢) ومسّومين تعني في رواية أن الملائكة قد لبسوا عمائم بيضاء لها أذناب ورسول الله

(١) الأنفال: ١٠ - ١٢.
(٢) آل عمران: ١٢٤ و١٢٥.

(ص) يقول كما في الرواية: كان ينظر إلى جبرئيل وقد تعمم عمامةً بيضاء في السماء، معنى الآية هو إن خمسة آلاف من الملائكة هبطوا يقاتلون دفاعاً عن المسلمين، هذا مشهد من مشاهد الحركة التغييرية التي قادها رسول الله (ص).

أمّا الإمام الحسين (ع) وكما في الرواية عن الإمام الصادق (ع): فإن أربعة آلاف من الملائكة طلبوا الإذن من الله تبارك وتعالى لنصرة الحسين (ع)، فلم يؤذن لهم، وفي رواية أخرى أنهم هبطوا إلى الحسين (ع) واستأذنوا من الحسين (ع) فلم يأذن لهم، وبعد مقتل الحسين (ع) أذن الله تعالى لهم بالهبوط إلى كربلاء، فهبطوا فهم عند قبر الحسين (ع) إلى يوم القيامة. هنا تحليل سياسي ونفسي مهم جداً، فلماذا في بدر أذن الله للملائكة أن يهبطوا؟ وهنا في كربلاء لم يأذن لهم إلاّ بعد مقتل الحسين (ع)؟

الجواب: إن حركة رسول الله (ص) كانت تنتهي لو قتل أصحابه في بدر.

ورسول الله (ص) قال في بدر: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد»، أمّا حركة الحسين (ع) فإنها لم تنته بقتل الحسين (ع) وأصحابه وإنما كانت هناك أمّة تتحرك بعد الحسين (ع).

أقرأ لكم الرواية المكررة عن الإمام الصادق (ع) وفي هذه الرواية بشارة لكم، الصادق (ع) يقول: «ان أربعة آلاف مَلَك لم يؤذن لهم، راجعوا الله تبارك وتعالى مرة أخرى في طلب الإذن وهبطوا وقد قُتل الحسين (ع) فهم عند قبره شُعثٌ غُبرٌ يبكونه إلى يوم القيامة فلا يزوره زائر إلاّ استقبلوه ولا يمرض زائر من شيعة الحسين (ع) إلاّ عادوه وزاروه ولا يموت أحد من زوار الحسين (ع) إلاّ صلّوا على جنازته واستغفروا له بعد موته، فكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم»[1] ولدينا في رواية ان الملائكة الذين هبطوا

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٣٥.

للقتال في بدر لم يصعدوا إلى السماء وإنما بقوا في الأرض ينتظرون قيام القائم لكي ينصروه، هذه مقارنة سادسة بين الحركة الاصلاحية لرسول الله (ص) والحركة الاصلاحية للإمام الحسين (ع).

٧ _ رسول الله (ص) واجه حركة تزييف إعلامي وكذلك الحسين (ع).

رسول الله (ص) يدعو إلى دين الله قائلاً: «قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا».

قريش قالوا: سبّ آلهتنا وسفّه أحلامنا وأفسد علينا شبابنا وفرّق جماعتنا. أي أن النبي كان سبب فرقة. أي أنه جاء ليفرّق الأمّة، هذه الاثارة سنجدها على الابواق الأموية ضد شيعة أهل البيت (ع) وهي مستمرة إلى اليوم، بينما نحن نعتقد أن رسول الله (ص) هو داعية الوحدة وأهل البيت (ع) هم دُعاة الوحدة، وشيعتهم هم دُعاة الوحدة، لكن أعداء الحسين (ع) قالوا إن الحسين داعية للفرقة ولديه فتنة

طائفية، هذه لغة التزييف الاعلامي.

أوّل من سجل على الحسين (ع) تهمة الشقاق هو معاوية، حيث كتب رسالة للحسين (ع) يقول: (أنه بلغني أنك تريد أن تشق عصا الطاعة)،[1] لاحظوا هذه اللغة، يزيد شارب الخمر يجب عليكم أن تطيعوه! وإذا خالفه ابن رسول الله (ص) يقولون: يا بن رسول الله أنت تشق عصا الطاعة، التآمر هكذا يصنع.

الحسين (ع) واجه تزييفاً اعلامياً، وتهمة بالفتنة الطائفية وتهمة بالشقاق واستمرت هذه التهمة.

وأنا أقول لكم ولدي تحقيق في المسألة من الذي وصف العراقيين بأهل الشقاق والنفاق؟

نحن نسمع كثيراً هذه العبارة وهي نتيجة التزييف الاعلامي الصادر من الأمويين، باعتبار أن شيعة العراق هم دائماً من يطالب بتغيير الحكم الأموي،

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢١٢.

ولذلك سُمّوا من قبل الأمويين بأنهم أهل الشقاق والنفاق وأنهم دائماً على خط المعارضة.

الحجاج بن يوسف الثقفي هو الذي وسم العراقيين بأنهم أهل الشقاق والنفاق،[1] يعني الشقاق والخروج على الحكم الأموي، وهو نقطة امتياز للعراقيين، وهو أنهم لا يستسلمون للذل والهوان. الحسين (ع) اتهموه بالشقاق، وهذا من فخر الشيعة بأنهم لم يسلّموا تسليماً لمجموعة وعصابات منافقة حكمت العراق عبر ألف وأربعمائة سنة.

٨ _ إضرام النار:

هناك على باب الزهراء ودار علي وهي باب رسول الله (ص)، أُضرمت النار، ويوم كربلاء أيضاً أضرموا النار على خيام حرم رسول الله (ص) وبناته.

٩ _ عليّ (ع) قادوه من منزله مكتوفاً بحمائل سيفة، وجاؤوا به إلى

---

(١) أنظر: شرح نهج البلاغة ١: ٣٤٤؛ تاريخ دمشق ١٢: ١٩٣؛ البداية والنهاية ٩: ١١.

المسجد لكي يبايع أو يُقطع رأسه،[١] وهناك عليّ آخر في كربلاء أُخذ أسيراً أيضاً وهو عليّ بن الحسين زين العابدين (ع).

عليّ (ع) أخذ أسيراً وهو وصي رسول الله (ص)، وعليّ بن الحسين (ع) أخذ أسيراً أيضاً وهو وصي الحسين (ع)، هذه مشاهد الأسر عند أئمّة المسلمين وليست مشاهد الأسر في الروم.

١٠ _ في الحركة الاصلاحية النبوية كان هناك رسول الله (ص) أما في يوم عاشوراء فلم يكن هناك رسول الله (ص) لكن كان لدينا شاب يشبه رسول الله خلقاً وخُلقاً ومنطقاً، وكأنه رسول الله يمشي على الأرض وهو عليّ الأكبر.

الإمام الحسين (ع) يقول: «كنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إلى هذا الغلام» وكانوا إذا أرادوا أن يستمعوا لصوت النبي (ص) فانهم يطلبون من الأكبر بأن يؤذّن، فهو يشبه رسول الله (ص) في

(١) المسترشد: ٣٧٧.

الشكل والمنطق والحنجرة وفي المشي والأخلاق، ولهذا قال الإمام الحسين (ع): «اللهم اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم أشبه الناس خلقاً وخُلقاً ومنطقاً بنبيك محمّد (ص) وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إلى هذا الغلام».[1]

جاء عليّ الأكبر يطلب الإذن من الحسين (ع) بقتال القوم بعد أن قُتل جميع أصحاب الحسين (ع) وكان أوّل من برز من أهل بيت الحسين (ع) دفاعاً عن الحسين (ع) وطلباً للماء.

الرواية تقول إن الحسين (ع) عانقه وسالت الدموع، وهذا أوّل فراق لعزيزٍ من أولاد الحسين (ع)، عليّ الأكبر خاض الميدان كمقاتل قوي، اجتمعت عليه الحشود وقاتل قتال الأبطال، حتّى قتل منهم مائة وعشرين فارساً وهو يقول:

أنا عليّ بنُ أضربُكم بالسيفِ
تاللهِ لا يحكمُ فينا نحن وربّ البيتِ

---

(١) أنظر: اللهوف: ٦٧؛ مقتل أبي مخنف: ١٦٢.

أضربُكم بالسيفِ ضرب غلام ها شميّ

رجع إلى الحسين (ع) يطلب ماءاً ويستريح ساعةً، الحسين (ع) عطشه أكثر من عطش عليّ الأكبر.

قال: أبه هل من شربة ماءٍ أتقوى بها وأرجع إلى الأعداء.

الرواية تقول: إن الحسين (ع) وضع لسانه في فم عليّ الأكبر فوجد أن لسان أبيه كالخشبة اليابسة، ورجع الأكبر إلى القوم يقاتلهم.

وقد كان بشره الحسين (ع) قائلاً: «بُني عليّ سيسقيك جدك رسول الله (ص)».

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(٩ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة الثامنة:

أخلاق النبي محمّد (ص)

و أخلاق الحسين (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[ما كانَ محمّد أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيّينَ وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً]. (١)

قال إمامنا الحسين (ع): «**إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة...، ويزيد رجلٌ فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة...، ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحق بالبيعة والخلافة**». (٢)

منجزات الرسول *(ص)*:

حديثنا هذه الليلة في سلسلة أحاديث الحركة الاصلاحية من نوح (ع) أبي الأنبياء إلى الحسين (ع) سيد الشهداء، وتحدّثنا عن رسول الله (ص) وقلنا انه كان له خمسة منجزات تميز بها عن سائر الأنبياء وهو

(١) الأحزاب: ٤٠.
(٢) البحار ٤٤: ٣٢٥.

خاتمهم وسيدهم.

أوّلاً: كان أحد تلك المنجزات هو تأسيس الدولة الإسلاميّة بينما الأنبياء (ع) لم يؤسسوا دولة إسلاميّة.

ثانياً: الأنبياء (ع) لم يقدموا منظومة فكرية تشريعية شاملة و صالحة مدى الدهر وإنما كانت مهماتهم مرحلية، بينما نبينا قدّم منظومة فكرية تشريعية شاملة.

ثالثاً: الأنبياء (ع) لم يقدموا ولم يحققوا أمّة صالحة لمير اث الأرض، الأمم السابقة تبرَّم منها أنبياؤها، موسى، عيسى، إبراهيم، لكن نبينا (ص) حقق أمّةً قادرة على ميراث الأرض ومواصلة المسيرة [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ].[1]

رابعاً: ضمانات البقاء. الأنبياء السابقون (ع) لم يقدموا ضمانات بقاء لشريعتهم ولأمّتهم بينما نبينا (ص) قدّم ضمانات بقاء «إني تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا

(١) آل عمران: ١١٠.

بعدي أبداً».[١]

خامساً: التبشير بالعالمية الإسلاميّة [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ][٢] وهذا تبشير بالعالمية الإسلاميّة.

الأحاديث أيضاً المتفق عليها تقول عن رسول الله (ص): «لو لم يبقَ من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يظهر رجلٌ من ولدي يواطيء اسمه اسمي يملؤها عدلاً وقسطاً بعدما مُلئت ظلماً وجوراً»،[٣] هذه هي العالمية الإسلاميّة ونحن في زمن التمهيد للعالمية التي دعا إليها الإسلام قبل ألف وأربعمائة عام.

أركان العالميّة الإسلاميّة:

العالمية الإسلاميّة تعتمد على ثلاثة أركان:

الركن الأوّل: الإنسانية العالميّة،

(١) أنظر: كمال الدين: ٢٣٧.
(٢) التوبة: ٣٣.
(٣) كنز الفوائد: ١١٣.

وليس القومية أو المناطقيّة، بل الإنسان خليفة الله في الأرض، وكرامة الإنسان وأخوته وحقوقه، هو أوّل ركن لتحقيق العالمية الإسلاميّة في مشرق الأرض وغربها، «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إنما الفضل بالتقوى».[١]

الركن الثاني: الارتباط بالله، بمعنى إن الدين الإلهي التوحيدي هو الذي يمثل جوهر إنسانية الإنسان، إنسانية الإنسان بهويته الدينية وليس بقدراته الماديّة.

الركن الثالث: حاكمية الإسلام، أي حاكمية الدين الإسلامي وخاتميته، حلال محمّد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمّد حرام إلى يوم القيامة.

هذه أصول العالمية الإسلاميّة.

خلافة الإنسان:

الإسلام يعتقد أن الإنسان خليفة الله في الأرض كما يقول الله تعالى لملائكته: [إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]،[٢] [وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْناهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْناهُمْ مِنَ

(١) المبسوط ٥: ٥٣.
(٢) البقرة: ٣٠.

الطَّيِّباتِ وَفَضَّلْناهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفْضِيلاً] .(١)

الإنسان في نظرية الإسلام هو خطوة للكمال والاقتراب من الله تبارك وتعالى، ليس الإنسان هو مجموعة شهوات وأنانيات كما تمارسه وتطرحه المادية الحديثة التي ابتعدت عن دين الله وعن حضارة الإسلام، وأصبحت تتعامل مع الإنسان إمّا على أساس أنه قرد تحول إلى إنسان، أو أن الإنسان كما في نظرية فرويد هو عبارة عن إيحاءات الجنس وتأثيرات الغريزة الجنسيّة فقط.

الفلسفة النفعية التي ظهرت في الغرب تقول إن مقياس الحق والباطل هو المنفعة فقط، فلا مبادئ، ولا قيَم، وإنما هي المنافع، هذه الفلسفة النفعية البرجماتية.

أمّا الإسلام فيقول: إن الإنسان هو مخلوق مكرّم وهو خليفة الله في الأرض، وهو يتحرك باتجاه الله [يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً

(١) الإسراء: ٧٠.

فَمُلاقِيهِ] ، [1] [يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي] [2] هذا الإنسان له سير وعروج نحو الله تبارك وتعالى.

أما النظرية الغربية ففيها سير نحو الجنس والهوى والأنانيات بما لا يفرق عن أي حيوان من الحيوانات سوى أنه أكثر ذكاءاً ومكراً.

وإذا رجعنا إلى الفلسفة الماركسية البائدة التي تقول إن الإنسان ليس عبارة عن قيم وثقافة ودين وأخلاق وأهداف عالمية، وإنما الإنسان عبارة عن مركب يحركه رأس المال والأدوات الصناعية، أي إن رأس المال يحرك الثقافة والدين والأخلاق، إذن هذا التاريخ العظيم وتاريخ معركة الحق والباطل غير موجود في المنظومة الماركسية، فمهما تقدم الإنسان وتطور في شكلياته وآلياته

(١) الانشقاق: ٦.
(٢) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

فهو عبارة عن صراع من أجل المال وتوزيع المال كما تتصارع الحيوانات على فريسة.

لاحظوا هذا هو الإنسان في النظرية الغربية الحديثة والنظرية الماركسية.

أما في حضارة الإسلام [إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً]، [وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ] أيها الإنسان أنت لست جسماً حيوانياً كسائر الحيوانات تموت وتتلاشى وتنتهي، أنت جوهر نقي وإنسانية تعرج إلى الله فتلتقي به [كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ][1] هذه الفكرة تنساق على جميع البشر، فكل البشر يمثلون ذلك الإنسان الذي كرمه الله [وَلَقَدْ كَرَّمْنا بَنِي آدَمَ] ولم يقل عرباً، عجماً أو بيضاً وسوداً، لهذا اتخذ رسول الله (ص) من بلال الحبشي مؤذناً وهو أسود.

يومئذٍ كانت هناك مجموعات مسحوقة، وكانت قريش وكبراء قريش من أمثال أبي لهب وأبي جهل من الذي

(١) الأعراف: ٢٩.

يجلدون العبيد وكان بلال من أولئك العبيد السود، فلما جاء الإسلام صار بلال الحبشي مؤذن رسول الله وحين يؤذن يأتي كل المسلمين للصلاة في المسجد.

كان بلال لديه لثغة في لسانه لأن الأحباش يلفظون حرف الشين (سين) فبدلاً من أن يقول (أشهد أن لا إله إلاّ الله) يقول: (أسهد أن لا إله إلاّ الله) فسخر منه بعض الكبراء، فقال رسول الله (ص): «إن سين بلال عند الله شيناً».[1]

إن المهم والمقياس ليس هو اللفظ، فقد يكون الشخص لا يعرف اللغة العربية، فيجب أن تزول هذه الفواصل في اللغة والقوميات وما شاكل ذلك.

سلمان الفارسي له موقع عظيم في التاريخ الإسلامي، وكان يلقب بـ (لقمان هذه الأمّة)، كان حكيماً وكبير العمر، لكن العصبيات الجاهلية المتطرفة كانت موجودة.

دخل مرة سلمان الفارسي للمسجد فقام له المسلمون اجلالاً وتعظيماً

(١) عدة الداعي: ٢١.

واحترا ماً، الرواية تقول: إن عمر بن الخطاب قد امتعض من هذه الحالة فقال: من هذا الأعجمي؟ ثمّ سأل سلمان الفارسي وقال له: يا أبا عبد الله ما هو أصلك وحسبك؟ وذلك بعد أن سأل غيره من الحاضرين.

فقال سلمان: كنت ضالاً فهداني الله بمحمّد، وكنت فقيراً فأغناني الله بمحمّد، وكنت مملوكاً فأعتقني الله بمحمّد.[١] وحدث هناك جدل في المسجد على ما يبدو ووصل الخبر إلى رسول الله (ص) فتألم لهذا الحال وقال: «الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربيّ على أعجمي ولا لأحمر على أبيض إلاّ بالتقوى، سلمان منا أهل البيت»[٢] وثبتت هذه الفضيلة لسلمان، هذه هي أسس العالمية الإسلاميّة وليست القومية، الإسلام فوق القوميات. وعالمية الإسلام تشمل كل البشر.

---

(١) أنظر: روضة الواعظين: ٢٨٣.
(٢) أنظر: الايضاح: ٢٨٢.

أخلاق النبي (ص):

رسول الله (ص) يمثل عمق الخُلق الإنساني.

دخل عليه مرة شخص وقد هابه فكان يرتجف، قال له رسول الله (ص): على رسلك إنما أنا ابن أمة.

رسول الله (ص) كان يجلس مع العبيد ويجلس جلسة العبيد ويأكل معهم وهو نبي الإسلام والإنسانية.

الرواية تقول عن الإمام الباقر (ع): أتى رسول الله مَلَكٌ قال له: إن الله يُخيّرك أن تكون عبداً متواضعاً رسولاً، أو ملكاً رسولاً،[1] قال فنظر رسول الله (ص) إلى جبرئيل فأومأ بيده إليه أن تواضع فقال رسول الله (ص): عبداً رسولاً متواضعاً.

لقد كان رسول الله (ص) يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله، ويركب الحمار العاري _ أي بدون سرج وذلك للمزيد من التواضع _.

---

(١) الكافي ٢: ١٢٢.

وفي الحديث عن عليّ (ع): «كان (ص) يبكي حتّى يبتلّ مصلاّه خشيةً من الله ﷻ من غير جرم»[١] أي أنه (ص) يبكي من غير ذنب، لكن هذا هو شأن العبيد مع مولاهم، أيضاً كان يبكي حتّى يُغمى عليه فقيل له: يا رسول الله أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال (ص): «أفلا أكون عبداً شكوراً».[٢]

كان يقول: أستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم سبعين مرة.

وكان له موالي ومن يخدمه من غير أن يرتفع عليهم في مأكل أو ملبس.

كان أرأف الناس بالناس وخير الناس للناس وأنفع الناس للناس.

و كان ينظر في المرآة و كان يُرجّل _ أي يمشط ويرتب شعره _ ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تجمله لأهله

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٢٤٠.
(٢) مستدرك الوسائل ١: ١٢٦.

ويقول: «إن الله يحب لعبده إذا خرج إلى اخوانه أن يتهيأ لهم ويتجمل».[١]

وكان إذا حدّث بحديثٍ تبسّم في حديثه بل كان عنده مزاح ودعابة، الإمام الصادق (ع) يقول: «ما من مؤمن إلاّ وفيه دعابة»،[٢] وكان رسول الله (ص) لا يقول إلاّ حقاً، حتّى انه كان يأتيه الأعرابي فيأتي إليه بهديةٍ ثمّ يقوم مكانه ويقول: أعطنا مكان هديتنا فيضحك رسول الله (ص)، وكان إذا اغتم يقول: «ما فعل الأعرابي ليته أتانا».[٣]

وكان لا يسأله أحد من الدنيا شيئاً إلاّ أعطاه.

حدث مرة إن امرأة قالت لابنها: اذهب إلى النبي وطلب منه حاجة وإذا لم يكن لديه شيء قل له بأن يعطيك قميصه الذي يلبسه، فجاء الصبي وقال:

(١) مكارم الأخلاق: ٣٥.
(٢) السرائر ٣: ٥٧٩.
(٣) الكافي ٢: ٦٦٣/ ح ١.

يا رسول الله اعطني.

فقال رسول الله (ص): ليس لدي شيء.

فقال الصبي: اعطني قميصك الذي تلبسه.

الرواية تقول: فأخذ (ص) قميصه وأعطاه لهذا الطفل،[١] وصل الأمر إلى سؤالهم النبي (ص) أن يعطيهم ملابسه التي هو أيضاً بحاجة ماسة لها، لكن كرمه هكذا يصنع.

هنا القرآن الكريم نزل يقول: لا يا رسول الله فللكرم حدود [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ].[٢]

رسول الله (ص) كان يختضب أي يصبغ شعره ولحيته، ولهذا نرى أن الحسين (ع) في كربلاء كان مختضباً. قال الراوي: نظرت إلى الإمام الحسين في كربلاء وإذا لحيته كجناح الغراب فقلت في نفسي: إن الحسين عمره ستون سنة فهل من المعقول أن لا يوجد في شعره

(١) أنظر: الكافي ٤: ٥٦.

(٢) الإسراء: ٢٩.

الشيب، قلت: يا أبا عبد الله هذا خضاب؟ الإمام (ع) وبأد به الجميل كذّى كناية وقال: «نحن أهل بيتٍ يُسرع إلينا الشيب».

وكان رسول الله (ص) يتعطر.

الرواية عن الإمام الصادق (ع) تقول: كان رسول الله (ص) ينفق في الطيب أكثر مما ينفق في الطعام.[١]

أنظروا إلى جمال الإنسانية وقيم الإنسان.

الرواية تقول: كان رسول الله (ص) إذا مشى، مشى مشياً يُعرف بأنه ليس بعاجز ولا كسلان[٢] أي أنه يمشي مستقيم القامة مقتدراً في المشي مهيباً وغير متكبر.

حقوق الإنسان:

العالمية الإسلاميّة تعتمد على الاهتمام بحقوق الإنسان وخلافته وكرامته.

الحديث النبوي يقول: «الناس

(١) الكافي ٦: ٥١٢.
(٢) سنن النبي: ١٦١.

مسلَّطون على أموالهم».

الرواية عن الإمام عليّ (ع) تقول: «من ظلم عباد الله كان الله خصمه يوم القيامة»[١] هذه هي حقوق الإنسان في الإسلام.

أمير المؤمنين (ع) يقول: «وَاللَّهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً أَوْ أُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ الْحُطَامِ...، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى اسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ الشُّعُورِ غُبْرَ الْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي...، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ

(١) أنظر: نهج البلاغة ٣: ٨٥/ كتابه X لمالك الأشتر.

ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا فَقُلْتُ لَهُ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ»[1] هذه هي حقوق الإنسان عند أهل البيت (ع).

مشتركات النبي (ص) وسبطه الحسين (ع):

الليلة نبين بعض نقاط المقارنة بين النبي (ص) وبين الحسين (ع):

١ _ الدفاع عن خلافة الإنسان الصالح:

رسول الله (ص) جاء بنظرية خلافة الإنسان الصالح حيث قال القرآن: [إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً] والإمام الحسين (ع) في حديثه مع الوليد وهو والي الحكم الأموي في المدينة المنورة، قال له: «أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا يختم ويزيد شارب الخمور

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١٧/ خ ٢٢٤.

ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نُصبح وتصبحون ونظر وتنظرون، أيُّنا أحق بالخلافة والبيعة»[١] فالخلافة ليست ملكاً دنيوياً بل هي موقع يجب الدفاع عنه وان لا يتسلط عليه الجبابرة والساقطون، الإمام الحسين (ع) كانت معركته لأجل الخلافة الصالحة.

٢ _ الدفاع عن حرية الإنسان:

رسول الله (ص) دافع عن حرية الناس قائلاً عن الوحي: [لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ]،[٢] وقائلاً: [وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ][٣] والإمام الحسين (ع) أيضاً كانت حركته من أجل الحرية لدى المسلمين على الأقل.

الحكم الأموي أراد أن يصادر الحرية والإمام الحسين (ع) أراد أن يحرر الإنسان، ولهذا فإن الحر الرياحي حينما التقى بالحسين (ع) في

(١) اللهوف: ١٧؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٥.
(٢) البقرة: ٢٢٦.
(٣) النساء: ٧٥.

الطريق قال له: يا أبا عبد الله ما الذي جاء بك؟

الحسين (ع) قال له: هذه كتب أهل مصركم كتبوا إلي أن ليس علينا إمام فعجل يا بن رسول الله.

الحر الرياحي أنكر ذلك.

الإمام الحسين (ع) دعا بخُرجين مملوئين برسائل أهل الكوفة ورماها أمامه، الإمام يطالب بحرية سياسية للناس، ولا يقوم بانقلاب عسكري. فمجيئه كان بطلب من أهل الكوفة وهذا بحث مهم يذكره المؤرخون.

بعض الروايات تقول إن الإمام الحسين (ع) في كربلاء طلب الانسحاب، وعدد من الباحثين ينكر ذلك ويقول إن الحسين (ع) لم يطلب الانسحاب، فلدينا رواية تقول إن الحسين (ع) قال لجيش الحر بن يزيد: «إذا كنتم لمقدمي كارهين، انصرفت عنكم إلى المكان الذي جئت منه إليكم»،[1] وقد تكرر ذلك في كربلاء عندما خاطب الحر جيش

(١) الإرشاد ٢: ٧٩؛ مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٦؛ بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٦.

عمر بن سعد بقوله: ألا تقبلون من حسين خصلة من هذه الخصال التي عرض عليكم... إلى أن قال: فمنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتّى يأمن ويأمن أهل بيته؟ لكنهم رفضوا طلبه، وقالوا: إلا أن يبايع ليزيد.[١]

بعض الباحثين يتصور أن هذا الطلب هو تراجع من الحسين (ع)، والواقع ليس كذلك فهذا ليس تراجعاً سياسياً، أو تراجعاً عن خط الثورة، إنما هذا هو الموقف المبدئي، فالإمام يقيم عليهم الحجة قبل أن يتورطوا بقتله.

قتال الإمام الحسين (ع) يوم عاشوراء إنما كان بعد المحاصرة، وكان الحسين (ع) يطلب الماء. فهو لم يبدأ بقتال، بل دفعوه إلى كربلاء بعد محاصرته. فهو كان يتجه باتجاه الكوفة، إذن أصبح قتاله هو دفاع عن

(١) أنظر: مقتل أبي مخنف: ١٢٢؛ بحار الأنوار ٤٥: ١١.

النفس وعن حقوق الإنسان.

٣ _ الحسين (ع) والقرآن والصلاة:

في التاسع من محرم الحرام _ كما تعرفون _ لمّا اقترب جيش بن سعد من خيام الحسين (ع) قال لأبي الفضل (ع): «إركب بنفسي أنت فانظر ماذا يريدون»، جاء قمر بني هاشم (ع) وسألهم ماذا يريدون؟

قالوا: جاء أمر الأمير إما أن ينزل الحسين على أمر الأمير ويبايع وإما أن نناجزكم الحرب.

رجع العبّاس إلى الحسين (ع) وأخبره، فقال له الحسين (ع): «قل لهم: يمهلونا هذه الليلة حتّى نصلي لربنا فاني أحب الصلاة وتلاوة القرآن وكثرة الاستغفار»، هذا هو مستوى علاقة الحسين بالقرآن.

ولهذا فإن رأس الحسين (ع) وهو مرفوع على القنا كان ينطق بالقرآن، لا يوجد رأس في الدنيا ينطق بالقرآن وهو مقطوع إلاّ رأس الحسين (ع)، رأس

مضت عليه أيّام وهم يحملونه على القنا لكن ينطق بالقرآن ويتلو الكتاب. يقول زيد بن أرقم: مرّ بي رأس الحسين (ع) وهو على رمح وأنا في غرفة، فلما حاذاني سمعته يقرأ: [أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً][١] فقفّ شعري وناديت: رأسك والله _ يا بن رسول الله _ أعجب وأعجب.[٢]

هذه علاقة الحسين (ع) مع القرآن والاستغفار، وهكذا كان الرسول (ص) لا يجلس مجلساً إلاّ واستغفر الله سبعين مرة، وهنا في كربلاء الحسين (ع) يطلب مهلة لكي يصلي ويتلو الكتاب ويستغفر.

٤ _ الاخوة الإنسانية:

أليس الإسلام يقول: [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ][٣] البشر كلهم اخوة من أم وأب؟ الحر الرياحي حينما التقى بالإمام الحسين

(١) الكهف: ٩.
(٢) الإرشاد ٢: ١١٧.
(٣) الحجرات: ١٠.

(ع) كان معه ألف فارس فسقاهم الإمام الحسين (ع) عن آخرهم ماءاً وحتّى سقى خيولهم، هذا هو البعد الإنساني عند الحسين (ع).

٥ _ الدفاع عن المظلومين:

وهذه سُنَّة الإسلام وسُنَّة رسول الله (ص).

والحسين (ع) يوم عاشوراء جسَّد صورة الدفاع عن المظلوم، كان آخر من بقي للحسين (ع) من أهل بيته هو الطفل الرضيع.

دعا الحسين (ع) بولده ليودعه، أتته زينب _ وفي رواية أخرى أتته الرباب أم الرضيع _ وقالت: أطلب لهذا الرضيع قليلاً من الماء.

أقبل به الحسين (ع) وقد أجلسه في حجره وهو يقول: «بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدك المصطفى خصمهم يوم القيامة».

وربَّ مرضعة منهن رضيعها فاحصَ

فَقُلْ بهاجَرَ مَتى تشطَ عنه من
وما حكتها ولا أم غداة في اليَّم
هذي اليدها ابنها وهذه قد سُقي
فأين هاتان ممن رضيعها ونأى

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(١٠ / محرم الحرام / ١٤٢٧ هـ)

المحاضرة التاسعة:

البراءة مشروع طوَّره الإسلام وطبّقه الحسين (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب إمامنا الحسين (ع) رسالةً إلى رؤساء البصرة يقول فيها:

«وأنا أدعوكم إلى الله وإلى نبيه (ص) فإن السُنّة قد أُميتت، وان البدعة قد أُحيِيَت فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم إلى سبيل الرشاد والسلام عليكم ورحمة الله».[1]

الحديث هذه الليلة وهي التاسعة من المحرم، يجب أن يأخذ لمحة عن وقائع هذه الليلة ولكن استمراراً مع أحاديثنا السابقة عن الحركة الاصلاحية لدى الأنبياء (ع) ثمّ حركة نبينا (ص) حتّى نصل لحركة الحسين (ع)، نود أن نسلط أضواءاً أخيرة على حركة نبينا (ص) الاصلاحية التغييرية.

مبدأ الولاية والبراءة:

---

(١) مثير الأحزان: ١٧.

لاحظوا ان الإسلام فيه أصول الدين وفيه فروع الدين. أصول الدين والمذهب خمسة وهي التوحيد، العدل، النبوة، الإمامة، والمعاد يوم القيامة.

أما فروع الدين فهي عبارة عن الواجبات الكبرى في الإسلام وهي حسب ما يلخصه علماؤنا وفقهاؤنا عشر واجبات كبرى وهي: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الخمس، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الولاية، البراءة والجهاد.

تجدون خمسةً من هذه الواجبات الكبرى ذات مدلول سياسي. وهي الجهاد، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، الولاية والبراءة، وهناك واجبات ذات مدلول مشترك عبادي وسياسي كالحج، فالحج له مدلول عبادي وله مدلول سياسي أيضاً، هذا مؤتمر عالمي يُعقد في الحج لاعلان البراءة من أعداء الله، وهناك واجبات ذات مدلول اقتصادي مثل الزكاة والخمس.

حديثنا الليلة عن البراءة

والولاية وهما أصل النظرية السياسية الاصلاحية في الإسلام.

هنا الإسلام يمتاز عن باقي الحركات والنظريات الاصلاحية بمادة الولاية والبراءة، اليوم أعرض لكم هذا الموضوع عرضاً منسجماً مع مشروع الحركة الاصلاحية.

أوّلاً: ما هو معنى الولاية والبراءة؟

الولاية لأولياء الله ودين الله والبراءة من أعداء الله. هذا هو معنى الولاية والبراءة، يجب على كل مسلم أن يوالي المؤمنين ويعادي أعداء الدين.

القرآن الكريم صريح في هذا الموضوع أنه لا يجوز لإنسان مسلم أن يكون محباً لأعداء الله [لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ][1] إذا كنت مؤمناً فلا بدّ أن تعادي أعداء الله، هذا هو معنى البراءة من أعداء الله.

---

(١) المجادلة: ٢٢.

كما يشير القرآن إلى مبدأ الولاية بقوله: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ][١] هذه فكرة مبسطة عن الولاية والبراءة.

الولاية مشروع إبراهيمي:

البراءة هي مشروع أسَّسه إبراهيم الخليل (ع).

إذا مضينا في تاريخ الحركات الاصلاحية للأنبياء (ع) فالمفسرون يقولون إن البراءة هي من مميزات العهد الإبراهيمي، وخطوة متطورة في الحركات الاصلاحية.

نوح (ع) لم يعلن البراءة من أعداء الله فهو قد دعا عليهم [رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً][٢] لكن البراءة بمعنى المقاطعة مع أعداء الله. فهذا تأسيس إبراهيمي.

ولهذا فإن القرآن الكريم ينسب قضية البراءة إلى إبراهيم (ع) لاحظوا مثلاً القرآن يقول: [قَدْ كانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبراهيم وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قالُوا

---

(١) التوبة: ٧١.
(٢) نوح: ٢٦.

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ][1] أي إن أوّل من وضع مشروع البراءة والمقاطعة السياسية والنفسية مع أعداء الله هو إبراهيم (ع)، وكما حدّثتكم في محاضرات سابقة أن إبراهيم (ع) قد أسس مشروع الصلاة والحج، وهو أيضاً أسس مشروع البراءة [إِذْ قالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] أي إن إبراهيم (ع) بهذا قد وضع خطاً أحمر بين أمّة الإيمان وبين أمّة الكفر [وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ].[2]

أصول السياسة الخارجيّة:

مشروع البراءة له مدلول سياسي، وهو يؤثر على السياسة الخارجية في الإسلام وأنا لا أستطيع أن أتناول هذا الموضوع الآن لسعته.

الإسلام له سياسة خارجية، فما هي علاقتنا الخارجية من وجهة نظر إسلاميّة؟

---

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) السابق.

اليوم العلاقات الخارجية في العالم تعتمد على مجموعة أصول:

الأصل الأوّل: المصالح المشتركة.

الأصل الثاني: التعايش السلمي.

الأصل الثالث: عدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب الأخرى.

ولكن الدول الكبرى اليوم أضافت أصلين آخرين بعيداً عن وثيقة حقوق الإنسان أو مقررات جنيف الدولية.

الأصل الرابع: حماية المصالح الحيوية.

والأصل الخامس: هو الضربة الاستباقية.

يعني على بُعد آلاف الكيلو مترات يقولون: إن مصالحنا الحيوية موجودة في الخليج فلا بدّ أن نتدخل في الخليج. وبالتالي تمتد يدهم لكل شعوب العالم بعنوان إن مصالحنا الحيوية موجودة هناك. هذا قانون غير موجود في وثيقة الأمم المتحدة.

وهكذا مشروع الضربة الاستباقية الذي

يجيز ضرب أي دولة أو شعب من الشعوب لمجرد افتراض انه يمثل تهديداً إحتمالياً لمصالح الدولة الكبرى.

الأصل السادس: جاء الإسلام ووضع أصلاً جديداً في شأن العلاقات الخارجية وهو أصل البراءة من أعداء الله والولاية لأولياء الله، فالإسلام يهتم كثيراً بشان العلاقات الإنسانية، كيف تترتب العلاقات بين البشر؟

يقول الحديث عن رسول الله (ص): «أقربكم مني غداً وأوجبكم عليّ شفاعةً هو أصدقكم لساناً، وآداكم للأمانة، وأحسنكم خلقاً وأقربكم من الناس»[1] التفتوا إلى إن النبي (ص) لم يقل: أكثركم صلاةً أو صوماً، لاحظوا القضية الأخلاقية والإنسانية، ومعنى ذلك إن أقرب الناس إلى رسول الله (ص) في الجنّة من تتوفر فيه هذه الشروط الأربعة من العلاقات الإنسانية، إذن الإسلام يريد

(١) مسند زيد بن عليّ: ٣٩٠.

علاقات إنسانية صحيحة، الدين يهدف إلى علاقات إنسانية جميلة وصحيحة، العبادات هي كذلك أيضاً، فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولهذا فالإنسان الذي لا يغضب لله وللمظلومين وللحق فلا يفيده دعاؤه ولا صلاته، المطلوب أن يكون لديه غضب لله وهذا أحد امتيازات المسلمين، وبالخصوص شيعة أهل البيت (ع)، فالحمية لله ودين الله هي جوهر الدين.

قصة العابد المتقاعس:

لهذا عندنا رواية عن الإمام الصادق (ع) في قصة جميلة مفصلة أذكر موجزها:

إن الله تبارك وتعالى أهبط اثنين من الملائكة إلى قرية من القرى لكي ينزلا على تلك القرية العذاب، فنزل الملكان ووجدا عابداً متضرعاً في حال القنوت.

قال أحدهما للآخر: كيف نقلب هذه

القرية على أهلها و هذا العابد فيها يصلي؟

فقال أحدهما: أنا سأرجع إلى الله تعالى وأسأله وأقول له: إلهي هذه القرية التي أمرتنا أن نقلبها على أهلها فيها عابد مشغول بالقنوت والخشوع والبكاء والدموع، فهل صحيح أن نقلبها على أهلها وفيها هذا العابد؟

الله تبارك وتعالى قال له: نعم هذه القرية تُعذّب ويموت أهلها بما فيهم ذلك العابد.

فتعجَّب المَلَك وقال: حتّى ذلك العبد تسيخ به الأرض؟

قال تعالى: نعم.

قال: لماذا؟

قال: إن هذا لم يتمعّر وجهه قط غضباً لي.[1]

أي إن هذا رجل عابد لكن ليس لديه ذرة غضب لله فهو يصلي كثيراً

(١) أنظر: الكافي ٥: ٥٨. (تمعّر): تغيّر وعَلَتْهُ صُفْرَة.

ويدعو كثيراً لكن لا يفكر بهموم الإسلام والمسلمين والشعوب والفقراء والضعفاء والظلم الذي يجري على الناس.

سوف نعرف أن جوهر الدين هو الغضب لله وللحق، والحق يعني العدالة، والعدالة تعني رحمة الناس.

جاء الإسلام بعد موسى وعيسى H واستمر مشروع البراءة، وحين جاء الإسلام طوّر مشروع البراءة وجعله أصلاً من أصول العلاقات الخارجية، أي إن الأصل التاسع والعاشر من فروع الدين هما البراءة والولاية، فبدون ولاية لا يُقبل إسلام المسلم ولا يُقبل إيمان المؤمن.

وأنزل الله سورةً اسمها سورة براءة وتسمى (سورة التوبة) التي تبدأ بقوله: [بَراءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى الذِينَ عاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ]. (١)

وفي آية أخرى: [وَأَذانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إلى النَاسِ يَوْمَ

(١) التوبة: ١.

الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ] . (١)

سورة براءة حينما نزلت بعثها رسول الله (ص) بيد أبي بكر في اليوم العاشر من ذي الحجة أي يوم العيد، والحجاج مجتمعون في منى.

قال: هذه سورة براءة هي بداية القطيعة السياسية بين الأمّة الإسلاميّة وبين الأمّة الكافرة، فقبل سنة كان المسلمون والمشركون يحجون معاً، فالمشركون لديهم حج أيضاً لكن حجهم للأصنام الموجودة على الكعبة، أمّا الآن وفي السنة التاسعة للهجرة فقد نزلت سورة براءة وكانت عبارة عن قرار سياسي بالقطيعة بين الأمّة الإسلاميّة وبين الأمّة الكافرة، هذه السورة بعث بها رسول الله (ص) بيد أبي بكر ليقرأها على المسلمين في منى في مكّة المكرمة، ليكون ذلك اعلاناً سياسياً عن القطيعة، وباجماع المؤرخين من الفريقين ذهب أبو بكر

(١) التوبة: ٣.

وبيده سورة براءة وهي تصريح سياسي خطير لكي يقرأها على المسلمين.

نزل جبرئيل على رسول الله (ص) يقول: يا رسول الله لا يقرأ سورة براءة إلاّ أنت أو رجلٌ منك ومن دمك.

فأرسل رسول الله (ص) عليّاً (ع) على راحلته مسرعاً إلى أبي بكر وقال له: يا أبا بكر اعطني سورة براءة.

قال أبو بكر: أنا ممثّل رسول الله (ص) فلماذا أعطيك سورة براءة؟ أنزَلَ فيّ شيء؟

قال: لا، لكن هكذا الأمر من رسول الله (ص).

سلَّم أبو بكر سورة براءة إلى عليّ (ع) _ باجماع المؤرخين _ ورجع إلى رسول الله (ص).

وقال: يا رسول الله هل نزل فيّ شيء؟

قال: لا، ولكن نزل جبرئيل عن الله تبارك وتعالى يقول: لا يقرأ سورة براءة إلاّ أنت أو رجلٌ منك ولم يكن إلاّ

عليّ (ع).[١]

سورة براءة التي هي تصريح سياسي تحتاج إلى ممثل من الدرجة الأولى، وكان هو عليّ (ع).

سوف تسألون _ وهذا المجلس بحمد الله فيه أساتذة وفضلاء وشباب متفتح _ وتقولون: إذن كيف تجتمع البراءة من أعداء الله مع نظرية التعايش السلمي المطروح اليوم؟ أي هل سنتقاتل مع الصين واليابان وكوبا وألمانيا؟ فهل هذا معنى البراءة؟

الجواب: إن هناك قانونين تعتمد عليهما السياسة الإسلاميّة:

القانون الأوّل: يسمى قانون البراءة والولاية.

القانون الثاني: هو قانون التعايش السلمي.

الإسلام يؤمن بهذا القانون، بل الإسلام يؤمن بقانون ثالث أكثر تطوراً

---

(١) أنظر: علل الشرائع ١: ١٨٩.

مما هو موجود اليوم لدى العالم. وهو قانون الاحسان للآخرين.

القانون الأوّل: البراءة، وهي تعني المقاطعة النفسيّة والعقائدية مع غير المسلمين. والمقاطعة هنا لا تعني المواجهة والدخول في معركة، بل هي حالة نفسيّة عقائدية وتنعكس سياسياً على مستوى الانفصال السياسي بين أمّة الإسلام وأمّة الكفر.

القانون الثاني: التعايش السلمي الذي يعني التعامل الاجتماعي الايجابي بدون عدوان [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا]. (١)

أي إن كانوا مسالمين فأنتم أيضاً مسالمون معهم.

القانون الثالث: الاحسان للشعوب الأخرى، وهو يعني خطوة متقدمة على خطوة التعايش السلمي. المطلوب هو الإحسان للشعوب الأخرى حتّى لو افترضنا انهم عبدة البقر أو الأصنام، حتّى وإن كانوا من الأديان الأخرى، فموقفنا

(١) الأنفال: ٦١.

تجاههم يكون كما في قوله تعالى: [لا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ][١] هذه هي السياسة الإسلاميّة للبشرية كلها.

النقطة التي طوّرها الإسلام في الحركة الاصلاحية للأنبياء (ع) هي مسألة الولاية والبراءة، حيث جعلها أصلاً في العلاقات الإنسانية بدءاً من إبراهيم (ع)، وجاء الإسلام وطوّر ذلك فقال: [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ].[٢]

مشكلة بني إسرائيل:

ويلخصها القرآن في قوله تعالى: [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ عَلى لِسانِ داوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ * كانُوا لا يَتَناهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ ما كانُوا يَفْعَلُونَ * تَرى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذابِ هُمْ خالِدُونَ][٣] أي ليس لديهم

(١) الممتحنة: ٨.
(٢) التوبة: ٧١.
(٣) المائدة: ٧٨ - ٨٠.

براءة من أعداء الله، الإسلام يريد براءة من أعداء الله بأعمق المستويات.

في زمن عيسى (ع) حسب رواية عن الإمام الصادق (ع): أن عيسى (ع) مرّ على قريةٍ مات أهلها جميعاً، وقف عندهم عيسى (ع) قال: يا أهل هذه القرية انهضوا، وإذا بشاب قد نهض من بين تلك القبور وتلك الأجساد.

وقال: لبيك يا روح الله.

سأله عيسى (ع): ما خبركم؟

قال: خبرنا كنّا نعبد الطاغوت ونحب الدنيا فأنزل الله تعالى علينا العذاب.

قال: كيف كانت عبادتكم للطاغوت؟

قال: الطاعة لأهل المعاصي.

قال: كيف كان عاقبة أمركم؟

قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية.

قال: لِم كلمتني أنت دون بقية الناس الموتى في هذه القرية؟

قال: يا روح الله إني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل العذاب عمّني

معهم.

أي إن هذا الشاب لا توجد لديه براءة من أعداء الله فلو كانت لديه براءة منهم لم يكن يجلس معهم فشمله العذاب السماوي معهم.

أيها الشباب إذا وجدتم أناساً غير صالحين، لا تجلسوا معهم لأنه في أي لحظةٍ سينزل عليهم عذاب أو نقمة فإنه يشمل من كان معهم، احذروا أن تجلسوا في مجالس الفاسقين والمجرمين فإنكم سوف تتلوثون بهم فإنهم مرضى ومرضهم مُعدٍ فاحذروا من مجالستهم.

فقال عيسى بن مريم H لما سمع ذلك: «أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل أفضل مع عافية الدين والآخرة».[1]

ليلة عاشوراء:

الليلة هي ليلة عاشوراء والإمام

(١) أنظر: الكافي ٢: ٣١٩، عنه البحار ٧٠: ١٠.

الحسين (ع) كانت انطلاقته قائمة على أساس أصل الولاية والبراءة من أعداء الله، ولهذا فإن الحسين (ع) كتب كتاباً لأهل البصرة يقول فيه: «اني أدعوكم إلى كتاب الله وسُنة رسوله فإن السُنة قد أُميتت والبدعة قد أُحيديت» أي إن نهضتي هي من أجل إعادة الأمور إلى مجاريها الصحيحة، وإعادة العمل بكتاب الله وسُنة رسول الله (ص) ومن أجل رفض البدعة، هذه حركة الحسين (ع).

أنتم تعلمون أن الحشود قد اجتمعت يوم السابع من محرم الحرام أي اكتمل جيش ابن سعد ثلاثين ألفاً يوم السابع من محرم، وبدأ الحصار على الحسين (ع) وجعل أربعة آلاف مقاتل على المشرعة يوم السابع والثامن والتاسع من محرم، وهي أيام تاريخية دام فيها الحصار على الحسين (ع).

لكن الحسين (ع) مرةً أرسل كتيبة من الأنصار نزلوا إلى الماء بعد أن كشفوا القوات وملأوا القرب وعادوا إلى الحسين (ع).

وفي يوم آخر الحسين (ع) تقدم عدة خطوات خلف الخيام وأمر أن يُحفر له بئر فحفروا وإذا بعين ماء فملأ الحسين (ع) منها القرب وارتووا جميعاً من ذلك الماء.

وكان في جيش ابن سعد عيون وجواسيس وفوراً أرسلوا إلى ابن زياد أن الحسين يحفر عيون الماء وبالتالي فإن خطتنا العسكرية فاشلة، ولهذا كتب ابن زياد إلى ابن سعد: أنه بلغني أن الحسين يحفر الآبار والعيون فامنعه من ذلك.

لكن بدون حاجة إلى منع فالعين التي حفرها الإمام الحسين (ع) قد غارت وانتهت، ويبدو أن هذا كان جزءاً من المخطط الإلهي للحسين (ع) حتّى يصل يوم العاشر من محرم الحرام.

استطاع الحسين أن يواصل جهده قبل أن تنشب المعركة يوم العاشر من محرم الحرام.

في هذه الليلة لدينا ثلاثة مشاهد

في كربلاء:

المشهد الأوّل: التفرغ العبادي.

المشهد الثاني: الاعداد العسكري.

المشهد الثالث: الحديث التوديعي.

التفرغ العبادي:

التاريخ يقول في هذه الليلة كان يُسمع للحسين (ع) وأهل بيته دويٌّ كدويّ النحل بقراءة القرآن والدعاء والمناجاة، حتّى مرَّ واحد من جيش ابن سعد وسمع الحسين (ع) يقرأ قوله تعالى: [وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ]. (١)

وقد طلب الحسين (ع) المهلة في هذه الليلة ليتفرغ للعبادة ولقراءة القرآن.

الحسين (ع) في هذه الليلة رأى رؤيا في المنام بعد أن أخفق برأسه، رأى رسول الله (ص) في فجر هذه الليلة يقول له: «يا بني أنت شهيد آل محمّد،

(١) آل عمران: ١٧٨.

وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلى، فليكن افطارك عندي الليلة، عجل ولا تؤخر، فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء».[١]

الحسين (ع) في هذه الليلة رأى مناماً آخر حدّث به أصحابه قال: «أنا رأيت الليلة في المنام أنّ كلاباً قد شدت عليّ لتنهشني وفيها كلب أبقع، وأظن ان الذي يتولى قتلي رجلٌ أبرص من بين هؤلاء القوم»[٢] وكان ذلك هو شمر بن ذي الجوشن.

الاعداد العسكري:

إن الحسين (ع) لديه من القوات سبعون رجلاً، لكن لا بدّ من تحصينات عسكرية، فأمر أوّلاً بتقارب الخيام بعضها من البعض الآخر ليتمكنوا من حمايتها بعددهم القليل هذا، فقّربوا

(١) أنظر: بحار الأنوار ٤٥: ٣.
(٢) السابق.

بين الخيام.

ثمّ أمر الحسين (ع) بأن يحفر خندق خلف الخيام وتضرم فيه النار، فحفروا الخندق وملؤوه حطباً ثمّ أضرموا النار في ذلك الحطب لئلا تكون معبراً خلفياً للأعداء.

ولهذا لما أضرمت النيران في هذا الخندق قال قائل من جيش ابن سعد: يا حسين استعجلت بالنار.

الرواية تقول إن الإمام الحسين (ع) دعا عليه وقال: «اللهم أحرقه بالنار».

جاء هذا الرجل من وراء الخيام وعبر الخندق لكنه وقع من فرسه وبقيت رجله معلقة في الركاب والبدن على الأرض والفرس يجول به حتّى مات.

فقال القائلون: إن للحسين كرامة عند الله، وأحرقت النار ذلك الرجل استجابةً لدعاء الإمام الحسين (ع).

محادثات التوديع:

الحسين (ع) في منتصف الليل خرج من الخيام، يقول نافع بن هلال و هو

حارس للحسين (ع): خرجت خلف الحسين والليلة كانت مظلمة فقال الحسين: أنافعٌ هذا؟

قلت: نعم، فداك نافع يا بن رسول الله.

قال: ما تريد؟

قلت: يا بن رسول الله جئت أحرسك من الأعداء.

قال لي: يا نافع هل لك أن تسلك بين هذين الجبلين فإن القوم لا يطلبون غيري، فوقع نافع على قدميه يقبلهما ويقول: سيدي إن سيفي بألف وفرسي بألف لا والله يا بن رسول الله لا تركتك حتّى يكلاّ عن جري وفري، ثمّ يقول نافع رجعت مع الحسين (ع) ودخل الإمام إلى خيمة أخته العقيلة زينب H وهذا هو المشهد الثالث وهو حديث التوديع.

يقول: سمعت زينب والحسين يتحادثان فتقول له: أخي أبا عبد الله هل استعلمت أصحابك؟ اني أخشى أن يخذلوك عند الوثبة.

الحسين (ع) قال لها: «أُخيَّة زينب قد خبرتهم وبلوتهم، فلم أجد فيهم إلاّ الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنية دوني».

ولما سمع ذلك نافع بن هلال عاد فوراً إلى خيام الأنصار فنادى بهم: يا لليوث الكريهة، يا فرسان الهيجا، فنهضوا يتقدمهم حبيب بن مظاهر وهو يقول: ما الخبر؟ قال نافع: يا حبيب يا اخوتي الأنصار إن زينب قلقة من وضعنا وغير مطمئنة إلى نصرتنا، سمعتها تقول للحسين (ع): هل استعلمت أصحابك...؟

قال حبيب: إذن يا نافع ما نصنع؟

قال: تعالوا نمضي جميعاً لنطمئن قلوب الهاشميات.

جاء حبيب ومعه الأنصار، وقف عند خيمة العقيلة زينب (ع) قائلاً: السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة هذه سيوف غلمانكم أبوا أن يغمدوها إلاّ في صدور من يريد السوء

بكم.[١]

خرجت النسوة تقول: حاموا عن حرائر رسول الله.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

[وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ].

* * *

(١) أنظر: مقتل الحسين للمقرم: ٢٦٥.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.
أبو طالب حامي الرسول (ص): نجم الدين الشريف العسكري/ ط ٤.
الاحتجاج: الشيخ الطبرسي/ ت محمّد باقر الخرسان.
الأمالي: الشيخ الصدوق.
الايضاح: ابن شاذان النيسابوري/ ت جلال الدين الحسيني.
الإرشاد: الشيخ المفيد/ ت مؤسسة آل البيت (ع).
اعلام الورى: الشيخ الطبرسي/ ت مؤسسة آل البيت (ع)/ ط ١.
بحار الأنوار: العلامة المجلسي/ ط ٢ المصححة/ ١٤٠٣هـ .
البداية والنهاية: ابن كثير/ ت عليّ شيري/ ط ١/ ١٤٠٨هـ .
تاريخ الطبري: الطبري/ ط ٤/ ١٤٠٣ هـ/

مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر/ ت عليّ شيري/ دار الفكر.
تحف العقول: ابن شعبة الحراني: ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٢.
تفسير جوامع الجامع: الطبرسي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ ط ١/ ١٤١٨هـ/ قم.
تفسير القرطبي: محمّد بن أحمد القرطبي/ ط دار إحياء التراث.
تفسير القمي: عليّ بن إبراهيم القمي/ مؤسسة دار الكتاب/ ط ٣/ ١٤٠٤هـ/ قم.
تفسير مجمع البيان: الطبرسي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
الثاقب في المناقب: ابن حمزة الطوسي/ ت نبيل رضا علوان/ ط ٢.
الجواهر السنية: الحر العاملي/ مكتبة المفيد/ قم.
حياة الإمام الحسين (ع): باقر شريف القرشي/ ط ١.
الخصال: الشيخ الصدوق/ ت عليّ أكبر الغفاري/ جماعة المدرسين.
دلائل الإمامة: محمّد بن جرير الطبري

(الشيعي)/ مؤسسة البعثة/ ط ١/ قم.
روضة الواعظين: محمّد بن الفتال النيسابوري/ ت محمّد مهدي الخرسان.
السرائر: ابن إدريس الحلي/ ت لجنة التحقيق/ ط ٢/ ١٤١٠هـ .
سنن الترمذي: الترمذي/ ط ٢/ ١٤٠٣ هـ/ دار الفكر العربي/ بيروت.
سنن النبي (ص): محمّد حسين الطباطبائي/ ت محمّد هادي الفقهي.
شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد/ ت محمّد أبو الفضل/ إحياء الكتب العربية.
صحيفة الإمام الحسين (ع): جواد قيومي/ ط ١.
عدة الداعي: أحمد بن فهد الحلي/ ت أحمد الموحدي/ مط حكمت/ قم.
علل الشرائع: الشيخ الصدوق/ مط الحيدرية/ النجف الأشرف.
عوالم الإمام الحسين (ع): عبد الله البحراني/ ط ١/ ت مدرسة الإمام المهدي.
عيون أخبار الرضا: الصدوق/ ط ١/ ١٤٠٤هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.
الغدير: الشيخ الأميني/ ط ٤/ ١٣٩٧ هـ/

دار الكتاب العربي/ بيروت.
قاموس الكتاب المقدس: مجمع الكنائس الشرقية/ ط٦/ ١٩٨١م/ مكتبة المشعل.
قرب الاسناد: عبد الله الحميري/ ت مؤسسة آل البيت (ع)/ ط ١/ قم.
الكافي: الشيخ الكليني/ ت عليّ أكبر الغفاري/ ط ٣/ ١٣٨٨هـ .
كامل الزيارات: ابن قولوية القمي/ ت جواد القيومي/ ط ١/ ١٤١٧هـ .
كفاية الأثر: الخزاري القمي/ ت عبد اللطيف الحسيني/ انتشارات بيدار.
كلمات الإمام الحسين (ع): محمّد الشريفي/ دار المعروف/ ط ٣/ ١٤١٦هـ/ قم.
كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق/ ت الغفاري/ مؤسسة النشر الإسلامي.
كنز الفوائد: محمّد بن عليّ الكراجكي/ ط ٢.
كنز العمال: المتقي الهندي/ ت الشيخ بكري حياني، الشيخ صفوة السقا.
لسان العرب: ابن منظور/ ط ١٤٠٥ هـ/ نشر أدب الحوزة/ قم.
اللهوف: ابن طاووس/ ط١/ ١٤١٧ هـ/ مط

مهر/ نشر أبو أنوار الهدى/ قم.
لواعج الأشجان: محسن أمين/ ط١/ ١٣٣١ هـ/ مط العرفان.
مأساة الزهراء (ع): السيد جعفر مرتضى العاملي.
المبسوط: الشيخ الطوسي/ ت محمّد تقي الكشفي/ مط الحيدرية/ طهران.
المجالس الفاخرة: شرف الدين/ ط١/ ١٤٢١هـ/ مؤسسة المعارف الإسلاميّة/ قم.
مثير الأحزان: ابن نما الحلي/ ط ١٣٦٩ هـ.
مدينة المعاجز: هاشم البحراني/ ت عزة الله المولائي/ ط١.
المزار: الشيخ المفيد/ ط ١/ نشر مدرسة الإمام المهدي/ قم.
المسائل العكبرية: الشيخ المفيد/ ط ٢/ ١٤١٤هـ.
مستدرك الوسائل: المحقق النوري الطبرسي/ مؤسسة آل البيت (ع)/ ط ١.
المسترشد: الطبري الإمامي/ مؤسسة الثقافة الإسلاميّة/ لكوشابنور/ ط ١.
مسند زيد بن عليّ: زيد بن عليّ/ منشورات

دار مكتبة الحياة/ بيروت.
مشكاة الأنوار: عليّ الطبرسي/ ط ٢/ مط الحيدرية/ ١٣٨٥هـ/ النجف.
مقاتل الطالبيين: أبي الفرج الاصفهاني/ ط ٢.
مقتل الحسين (ع): السيد عبد الرزاق المقرّم.
مقتل الحسين (ع): أبي مخنف الأزدي/ نشر مكتبة المرعشي/ قم/ ١٣٩٨هـ .
مقتل الحسين (ع): الموفق الخوارزمي.
مكارم الأخلاق: الطبرسي/ منشورات الشريف الرضي/ ط ٣/ ١٣٩٢هـ .
مناقب أمير المؤمنين: محمّد بن سليمان الكوفي/ ط١/ ١٤١٢هـ/ قم.
ميزان الحكمة: محمّد الري شهري/ ت ونشر دار الحديث/ ط ١/ قم.
نهج البلاغة: الشريف الرضي/ ت محمّد عبدة/ طبع ونشر دار المعرفة/ بيروت.
نهج السعادة: محمّد باقر المحمودي/ ط ١/ ١٣٩٦هـ .
الهداية: الشيخ الصدوق/ ت مؤسسة الإمام المهدي (ع)/ ط ١/ ١٤١٨هـ .

ينابيع المودة: القندوزي/ ت عليّ جمال أشرف الحسيني/ ط١/ ١٤١٦/ دار أسوة.

* * *

فهرست الموضوعات

مقدمة المؤسسة ٣
مقدمة المؤلف ٧
المحاضرة الأولى: معالم الحركة الإصلاحيّة لدى نوح (ع) ٩
الحسين (ع) والأنبياء (ع) ١١
الحركة الاصلاحية ١٤
الحاجة إلى الأنبياء (ع) ٢٠
حركة نوح (ع) الإصلاحيّة ٢٢
ظاهرتان في مجتمع نوح ٢٣
منهج الحوار ٢٥
أوّل من فتح باب التشريع ٢٨
أدب البسملة ٢٩
سفينة نوح ٣٠
نوح والحسين H ٣٢
مشكلات الأمّة ٣٢
فقد القدرة على التمييز ٣٤
فقد إرادة التغيير ٣٧
الحركة التصحيحيّة ٣٩

محاور حركة التصحيح ٤٠
الخطاب السياسي للإمام الحسين (ع) ... ٤١
التاسع من محرم الحرام ٤٢
المحاضرة الثانية: معالم الحركة الاصلاحيّة لدى إبراهيم (ع) ٤٥
تجربة إبراهيم (ع) ٤٨
شخصيّة إبراهيم (ع) ٤٩
الحنيفيّة الكبرى ٥٠
نشوء المجتمع السياسي ٥١
أهداف إبراهيم (ع) ٥٢
معالم المنهج الإبراهيمي ٥٣
المعلم الأوّل: الحوار ٥٤
المعلم الثاني: التحدي والمواجهة الميدانية ٥٥
المعلم الثالث: الابتعاد عن المواجهة السياسية ٥٧
المعلم الرابع: الهجرة ٥٩
قصة إبراهيم والمَلِك ٦٠
المعلم الخامس: تأسيس قواعد المجتمع المتمدّن ٦٤
المعلم السادس: التسليم ٦٧

مقارنة بين الحسين وإبراهيم H ٦٩
معركة الحسين (ع) غير مسلَّحة ٧١
المحاضرة الثالثة: أهداف الحركة الاصلاحيّة لدى إبراهيم (ع) ٧٣
إصلاح الدنيا والآخرة ٧٥
هجرة إبراهيم (ع) ٨٢
خمس كلمات ٨٢
الحركة الاصلاحية تنطلق من الصالحين .. ٨٥
معنى خليل الرحمن ٨٦
ضيف إبراهيم (ع) ٨٨
الأمّة الإسلاميّة ٥٨
أهداف حركة الإمام الحسين (ع) ٩٢
المحاضرة الرابعة: مقارنة بين موسى والحسين H ٩٥
الحسين وموسى H ٩٧
نشأة موسى (ع) ٩٩
شخصية موسى (ع) ١٠١
أهداف موسى (ع) ١٠٤
مواجهة السلطة ١٠٩
عقدة لسان موسى (ع) ١١٠
تحجّر بني إسرائيل ١١٤

قصة الصياد ١١٥
مشاكل بني إسرائيل ١١٩
معايشة الطبقة الضعيفة ١٢٣
التنظيم السري ١٢٣
مقارنة بين موسى والحسين H ١٢٤
الحسين (ع) في كربلاء ١٣١
المحاضرة الخامسة: معالم الحركة الاصلاحية عند موسى (ع) ١٣٥
عمر التجربة ١٤٠
شرائط الحركة الإصلاحية ١٤١
تكامل الأنبياء (ع) ١٤٣
لمحات من شخصية موسى (ع) ١٤٧
مشكلة الأمّة ١٤٩
اليهود في فلسطين ١٥٠
الخطاب السياسي للحسين (ع) ١٥٣
مؤتمر مكّة ١٥٥
قصة الأعرابي ١٥٦
مسلم بن عقيل (ع) ١٥٩
المحاضرة السادسة: مقارنة بين عيسى والحسين H ١٦٣
حركة عيسى بن مريم (ع) ١٦٥
أهداف عيسى (ع) ١٧٠

نصوص الانجيل ١٧٣
مشكلة الأمّة ١٧٦
شخصية عيسى والحسين H ١٧٧
وفود عيسى (ع) للعالم ١٧٩
تسمية السيد المسيح (ع) ١٨١
نقاط تشابه مع الحسين (ع) ١٨٣
كلمات ضد الحسين (ع) ١٨٤
شخصيّة العباس (ع) ١٩١
المحاضرة السابعة: مقارنة بين رسول الله (ص) والحسين (ع) ١٩٥
أهداف النبوة الخاتمة ٢٠٠
منجزات النبي الأكرم (ص) ٢٠١
مقارنة مع حركة الحسين (ع) ٢١١
١ _ الهجرة ٢١١
٢ _ المدينة المنورة مهد الدولة الإسلاميّة، العراق مهد الثورة الإسلاميّة ١٣٦
٣ _ الاصرار والعزم الراسخ ٢١٤
٤ _ دور الحراسة ٢١٦
٥ _ القتال ٢١٧
٦ _ هبوط الملائكة ٢١٨
المحاضرة الثامنة: أخلاق النبي محمّد (ص) وأخلاق الحسين (ع) ٢٢٩

منجزات الرسول (ص) ٢٣١
أركان العالميّة الإسلاميّة ٢٣٣
خلافة الإنسان ٢٣٤
أخلاق النبي (ص) ٢٤٠
حقوق الإنسان ٢٤٤
مشتركات النبي (ص) وسبطه الحسين (ع) ٢٤٦
١ _ الدفاع عن خلافة الإنسان الصالح . ٢٤٦
٢ _ الدفاع عن حرية الإنسان ٢٤٧
٣ _ الحسين (ع) والقرآن والصلاة ٢٥٠
٤ _ الاخوة الإنسانية ٢٥١
٥ _ الدفاع عن المظلومين ٢٥٢
المحاضرة التاسعة: البراءة مشروع طوَّره الإسلام وطبّقه الحسين (ع) ٢٥٥
مبدأ الولاية والبراءة ٢٥٧
الولاية مشروع إبراهيمي ٢٦٠
أصول السياسة الخارجيّة ٢٦١
قصة العابد المتقاعس ٢٦٤
مشكلة بني إسرائيل ٢٧١
ليلة عاشوراء ٢٧٣
التفرغ العبادي ٢٧٦
الاعداد العسكري ٢٧٧
محادثات التوديع ٢٧٨

مصادر التحقيق ٢٨٣
فهرست الموضوعات ٢٩١

* * *